

مجمع اللغة العربية

(دمشق) ايلول سنة ١٩٢٦م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٥هـ

(١) عمل الذهب

« بالطريقة الصناعية »

سادتي ، اخواني :

اسمحوا لي قبل ذلك بذكر مقدمة أُبين بها الأمر الذي حملني على انتقاء هذا الموضوع دون سواه ، حملني عليه ما أسمعته من آونة الى أخرى من قدوم بعض اشخاص غرباء من جهات مختلفة يدعون صنع الذهب ، فينقربون من بعض سدج العقول حتى يتوصلوا بدهاء ومكر الى اختلاس أموالهم وثروتهم ويتركونهم حيارى ، ملء رؤوسهم الأمل الذي يدفعهم الى العمل الدائم لا تلاف ما يبقى بأيديهم ، او ما سيحصلونه في مستقبلهم من مال في نفس السبيل .

وقبل ابداء رأيي الخاص أطرح الاسئلة الآتي ذكرها على بساط البحث لتحليل المسألة تحليلاً دقيقاً .

صناعة الذهب صناعة قديمة ، قال بها الأولون واختلف عليها المتأخرون بين مصدق ومكذب ومثبت ومنكر ، ولا بد لكل شيء من أساس . فهل لهذه الصناعة أساس بني عليه المتقدمون نظرياً ؟ وما هو هذا الأساس ؟ وهل توصلوا حقيقة لصنع الذهب ؟

من قرأ يا سادة شيئاً من كتب الأقدمين ، يعلم ذلك الأساس الواضح الذي

(١) محاضرة الاستاذ الكيماوي السيد عبد الوهاب القنواقي من أساتذة المعهد الطبي العربي في دمشق ألقاها في ردهة المجمع العلمي في تشرين الاول ١٩٢٣ .

بنيت عليه تلك النظريات ، وهو قولهم بوحدة المادة ، اي انهم كانوا يعتقدون بان جميع العناصر الموجودة هي من اصل واحد ، فكيف لا يمكن تحويل بعضها الى بعض وذلك بان يعمل من النحاس ذهب ومن الرصاص فضة الخ ؟ ! قام بهذه الفكرة العرب في ادوار حضارتهم ولم يبق منهم صغير ولا كبير الا واكثر التجارب وبذل الهمة في التوصل الى هذه الغاية . فدوتوا الكتب والرسائل ، وكثر بينهم الجدل والقبيل والقتال . فكم من معترض أفتعوه ، وكم من مكذب حجوه ببراهينهم الناصعة . وكم من أحمق جاهل ضل في غياهب جهله وأضاع حياته بالبحث الفاسد وذلك لانه فهم من الرموز ظاهرها ، ولم يتوصل لغبارته الى حلها ، ولذلك مال الناس للائ نكار حين عجزوا عن كشف ما وراء الستار ! وكم كُتِبَ على صفحات الكتب القديمة كالحواشي بعد ذكر تجريبية غامضة مثلاً (اقرأ نقرح جرتب تحزن) .

وحدة المادة هي الأساس الذي بنت عليه العرب نظرياتها واستنتجت منه إمكان تحويل المادة من شكل الى شكل آخر ، ومن حالة الى أخرى بالموامل المختلفة . ماهي تلك المادة الاولية التي هي اصل العناصر ؟ لقد بحث علماء الكيمياء في عامة العناصر المعروفة حتي اليوم ، فوجدوا بان الطفها وأخفها وزناً الهيدروجين (مولد الماء) الذي هو أخف من الهواء باربع عشرة مرة ونصف تقريباً ، وثقل غرام واحد منه نيلاً حجم احد عشر ليتراً وربعاً .

(تقصد بالعنصر الموائد المعلومة الخواص والتي لا يمكن ان تنتج أجساماً أبسط منها بوسائطنا الحاضرة من حرارة وكهرباء ، والمتكونة ذراتها من عين الجواهر الفردة كالحديد مثلاً . وبتحاد هذه العناصر المختلفة تتكون أجسام جديدة تخالف اصولها كل المخالفة فندعوها بالأجسام المركبة كالماء مثلاً المركب من الهيدروجين والأكسجين الخ) .

فهل الهيدروجين اصل للعناصر . وهل ذراته المتكاثفة بنسب مختلفة كوئت العناصر المختلفة الطبائع والصفات ؟ . قبل الجواب على ذلك نقول : ان الكتلة الكبيرة من اي مادة كانت مكونة من قطع صغيرة لا تخرج عن جنسها وتلك القطع الصغيرة مكونة من ذرات ، والذرات من جواهر فردة (ويقصد بالجواهر الفرد Atome

اصغر جزء من المادة) . فالتحويل الذي نبتغيه من المادة هو تحويل هذا الجوهر الفرد اما بتكاثف أجزائه ليصير مادة ثانية غيرها ، واما بانقسامه بالذات . واذ كانت الهيدروجين أخف العناصر المعلومة بانفاق العلماء ، فهل امكن تكثيف جواهره او تقسيمها ؟ لم يعلم التقسيم ولم يتحقق وانما امكن التكثيف . وقد حصل من هذا التكاثف ذرات الهيدروجين . والبوت ظاهر ما بين ذراته وجواهره في الطبيعة والصفات والتأثير ! ...

(نقصد من كلمة ذرة كل كلمة حاصلة من تمازج جوهريين فردين فاكثر سواء كانا من جنس واحد او اكثر ، فما تكون من عنصر واحد يحافظ على اصله وندعوه بالجسم البسيط وما تكون من عنصرين مختلفين فاكثر فهو جسم مركب وقد خصصنا بحثنا على البسائط وتركنا المركبات) .

لنعد الى الذرات المكوّنة من جواهر هي من جنس واحد ، فلو قابلناها باصل جواهرها لوجدنا بينها برناً شامعاً في الخواص والتأثير والصفات الظاهرة كما قدمنا . فالهيدروجين مثلاً بحالة الجوهر هو غير الهيدروجين في حالة الذرة فاننا نجد له تأثيراً شديداً لا نراه في الهيدروجين الذري من حيث ارجاعه مركبات الزرنيخ والأثمد الى اصولها مثلاً . وذلك امر يعجز الهيدروجين الذري عند الامتياز بمثله ، ومن خاصته هذه سمي بالهيدروجين النعال او المتولد .

وكذلك الفوسفور فانه يتكاثف ذرة اكثر من ذرة اي باختلاف عدد الجواهر في ذراته تختلف صفاته وتأثيراته . فالذرة المكوّنة من اربعة جواهر (p 7) تدعى الفوسفور الابيض وهو مادة قابلة للتبلور تذوب بكبريت الفحم وتصلب بدرجة + ٤٤ سانتيفراد ، تلغ في الظلام . وتتعمل بتماس الهواء من نفسها حتى بالدرجة العادية من الحرارة وهي من أشد السموم .

والذرة المكوّنة من ثمانية جواهر (p 8) تدعى الفوسفور الاحمر وهي ليست مربعة الاشتعال ولا تذوب بكبريت الفحم ولا تلغ بالظلام ولا يبادل سمها معشار سم الفوسفور الابيض وتأثيرها في العناصر الاخرى قليل .

وهكذا ففي الكبريت العادي أشكال مختلفة بسبب اختلاف عدد الجواهر الفردة

في كل ذرة منها . والاكسيجين الذي هو العنصر الاساسي للنفس كل حي من حيوان ونبات موجود في الهواء المحيط بكرتنا الارضية بجالة ذرات كل منها . مكون من جوهريين من الاوكسيجين فان تكاثفت جواهره حتى بلغت الذرة الواحدة الثلاثة الجواهر التي هي الجسم المسمى بالاوزون تصنع مادة لا تصلح للنفس مزيلة للالوان ، قاتلة للجراثيم ، مخربة للاغشية المخاطية ، توجب عسر النفس ثم الموت .
وهي صفات طارئة لم يكن لها اثر في ذرة الاوكسيجين الهوائي . وكذلك الفحم فهو في بعض ذراته الكثيرة التكاثف « ماس » يسحر الالباب ببريقه ولمعانه . وفي بعضها القليلة التكاثف « غرافيت » وفي بعضها فحم عادي او ججري عديم الشكل .
والبون شامع بين الفحم والماس . فذرة الماس مكونة من اربعة جواهر من الفحم والغرافيت من ثلاثة والفحم العادي من جوهريين . ويقول بعض العلماء ان ذرة الماس مكونة من (٣٧١٧) جوهراً اي انها متكاثفة جداً .

وكذلك الزرنج اذا سبقت أنجزته المتصاعدة الى غرفة صغيرة باردة فانه يتوضع فيها بشكل زهر الكبريت المادي مع ان الزرنج ذو رونق معدني و يريق خاص . وهذا ناتج ايضاً من تكاثف ذرة اكثر من ذرة !! . فهذا التكاثف سواء كان ثابتاً او غير ثابت انتج لنا نتائج واضحة عن تطور المادة بتحول صفاتها وأحوالها .

ولنعد الى الجوهر الذي رأينا من تكاثفه مارأينا ولنجرب هل يمكن ان ينقسم؟! امر انقسام الجوهر يحث كبير مازال ولن يزال موضع المناقشة والخلاف ! نعم يا اعادة ان اليونان كما اشتهر في التاريخ منبع لهذه العلوم وقد طرقتوا بلا شك هذا البحث ووضعوا اذ ذاك كلمة آتوم (atome) اي جوهر فرد التي لو فسرنا معناها الحقيقي لرأيناها مركبة من كلمتي (a) ومعناها غير قابل . و (tomos) تفيد الانقسام اي غير قابل الانقسام . فيستنتج من هذه الكلمة ان اليونان كانوا يقولون بعدم قابلية انقسام الجوهر « وقد دار على الألسنة قول الناس هذا جزء لا يتجزأ (مثل سائر) » .

انتقل العلم الى العرب في دور حضارتهم الزاهرة فبعضهم نحاً منحي اليونانيين بالقول

بعدم قابلية الانقسام ، وبمضهم أعمل العقل وأجهد الفكر وأكثر من التجربة فقال بالانقسام . ومنذ ذلك الحين نشأ فكر عمل الذهب بالطريقة الصناعية وامكان تحويل المعادن بعضها الى بعض استناداً على قابلية انقسام الجواهر وتكاتفه ! . والادلة على ذلك اكثر من ان تحصى ، منها ما جاء في كتاب المكتسب في زراعة الذهب لابي القاسم العراقي قال : « لانها في الحقيقة قرابة الأجساد الذاتية ومتولدة من اصل مادتها لكن اعترضها عارض في الكيف يبسها وفتتها ومنعها من السبك والتلزز والقيام » . وقول الآخر : « ولهم حجر آخر ميت في رأي العين اذا أحكم تدبيره ، تهالك عليه الملوك وسفكوا دماء بعضهم بعضاً حياله . والحجر الآخر فهو الماء الذي يكون منه حياة هذه الاجساد الميتة لمن يحسن التدبير بتكرار السحق والتشويه والتصعيد والحل والتمدد فانه يكون منه الاكسيرا اعظم الذي المثقال الواحد على الف الف ومائتي الف مثقال من الرصاص يكون ذهباً ايريزا » .

ونالوا يا سادتي : ان القوة مصاحبة للمادة وهي لازمة لها غير مفارقة ، وبقيت هذه القوة على المادة بظور مختلفة تكون تلك العناصر المختلفة . واذا تأملنا ذلك : اذكر لحضراتكم ما جاء في كتاب البرهان في علم الميزان في الصنعة الالهية لجابر بن حيان قوله : « وها انا ابدي لك معرفة قوى الاجسام الطبيعية العنصرية وللتراكيب الحسية المعنوية العملية فننهم متها بالبرهان الصنعة الالهية . لانه قد تقرر عند الفلاسفة ان الذهب حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه وهو معتدل الحرارة والبرودة والرطوبة والهبوسة وان الفضة باردة يابسة في ظاهرها حارة رطبة في باطنها قد غلب جزء من البرودة وجزء من الهبوسة . وان الأترب اي لثصاص بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه مائل عن الاعتدال بالبرودة والهبوسة ، وان القلبي اي القصدير حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة الهبوسة ، وان الحديد بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة الهبوسة ، وان النحاس حار رطب في ظاهره بارد رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة الحرارة والهبوسة وكذلك في جميع المعاقير المستعملة في هذه الصناعة للشرففة فهي اذا ظهرت فيها طيعة كن ضدها

واخفى ما يقابلها والحاذاق الحكيم يبحث عن طبائع هذه وعن درجاتها واثرائها ، وكم في كل مفرد منها من اجزاء الحرارة والبرودة والرطوبة والهبوسة و يتأمل كل ما ذكره من الماثلة والمقابلة فمند ذلك تظهر له النتيجة والبرهان « . الى ان يقول : « واعلم ان الحرارة والبرودة ضدان والهبوسة والرطوبة ضدان ، والمقاومة بال ضد ، والحرارة والرطوبة متصادقان والبرودة والهبوسة متصادقان والحرارة يتبعها الهبوسة في الخارج والبرودة يتبعها الرطوبة في المازجة وكذلك الحرارة ، والرطوبة تتبعها الهبوسة . والبرودة في المازجة والمقاومة بالمضادة . فان الاشياء تضعف باضدادها وتقوى باشكالها » . ثم يقول : « فان أعطيت الفضة ما نقصها وعدلتها بميزان الاعتدال حتى تدفع ما غلب عليها من البرودة والهبوسة استحال ذهباً خالصاً وهكذا بقية الاشخاص المعدنية !! » وقد ذكر في محل آخر من الكتاب ما مفاده : « والحرارة تعدلها الرطوبة وبهذا تعمل جميع الاعمال في جميع الكائنات والمكونات بين المواليد الثلاثة المعدن والنبات والحيوان . تألف هذا التعديل الطبيعي بعضها مع بعض وتخالف بعضها بعضاً وتجلب بين بعضها وتطرد بعضها فهذه صفة موازين الحكماء الداخلة في جميع أعمالهم المؤلفة بين طبائعهم المكتومة لجميع تدابيرهم التي ديروا بها جميع المعادن والقوا بها جميع الطبائع وأقاموا بها جميع الطلاسم فهي سرهم النافذ فافهم ترشد » . وقد قال صاحب الشذير رحمه الله من قصيدة طويلة :

لسان قوى صركوزة في الفرائز وقوف على ما اعتاض من رمز راض الخ .

والخلاصة : لقد ظهر من أقوال هؤلاء العلماء بانهم يعتقدون بكون القوى المختلفة في المواد كل على حسب درجته ! . كيف نعلم وجود هذه القوى ؟ وهل يمكن ان ترى ؟ ان القوة كامنة في المادة تظهر حين ايقاظها وتحريكها . فسلك الكهرباء لا يشعر بالقوة الموجودة فيه الا حينما يلمسه لاسم وتختلج أعصابه او حينما يربط بمصباح كهربائي ويللم ضوءه ، او عندما يربط بمحرك كهربائي فتبدو حركته وهكذا .

ننظر الى هذا السحوق الابيض (مخلوط السكر وملح برتلو) ولتلاحظ قواه الكامنة

فيه بمحرك . « (التجربة) 'صب' على المسحوق الابيض زيت الزاج فاشتمل اشتمالاً مدهشاً » .

وها نحن نشاهد من النار والضياء والحركة ما تجزع منه النفوس وترتعد الاثدة . وهكذا البارود يلهب عندما توظف قواه المدخرة بقبس ، والديناميت ينفجر حينما توظف قواه الكامنة فيه بضغط او بصدمة . والهز تبدو قواه فيهتز ويضطرب عندما يرى الفأر ماراً أمامه . والسبع يكشر عن أنيابه ويحفز للوثوب حينما نترأى له فريسته . والشريف يفعل ويحتمد ويخدم بالفيظ حينما تهسان كرامته . والخسيس الدنيء الرضيع يظهر لومه وخبثه وأذاه عندما يمتلي منصة الحكم وتكون بيده مقاليد الامور . فكل كائن لا بد ان يدخر في نفسه قوة تظهر حين الايقاظ والدلك والتحرك . وبالطبع من الممكن تحويل هذه القوى من شكل الى شكل وانقاصها او زيادتها . ومثال ذلك القوة الكبر بائية الكامنة في بطارية كهربائية تتحول بحسب تجليها الى حركة وضياء وحرارة ، والسبع المفترس ينقلب بالتريبة الى حمل وديع يألف البشر ويخالطهم في ملاعبهم وفي حفلاتهم وبصاوقهم وبيوادمهم ، ولكن اساليب هذه التريبة مزينة يختص بها الله من يشاء من عباده وقليل ، ا هـ ١

خالف علماء العرب بعضهم بعضاً في إمكان هذا التحويل . فقال ابن سينا : ان قلب اعيان صور الموجودات ممنوع ، ولا يمكن انقلاب الذهب الى الفضة كما لا يمكن انقلاب الفضة الى الذهب . ويمتنع ان ينقلب النحاس فضة كما يمتنع ان تنقلب الفضة نحاساً ، وكذلك في بقية الاشخاص المعدنية . امكن ارى بامكان دخول الصبغ الابيض على النحاس فيصير في قوام الفضة ولونها فيكون نحاساً مصبوغاً لا فضة ، ويمكن دخول الصبغ الاحمر على الفضة فتصير في قوام الذهب ولونه فتكون فضة مصبوغة لا ذهباً . فردوا عليه بقولهم : قولك هذا يدل على انك قانع باي مكان دخول الصبغ على الفضة ومسلم فيه . واما انكارك بعدم انقلابه حقيقة الى ذهب ، ذلك لانك لم تطلع الا على ظواهر أقوال الحكماء ، ولم تصل الا الى القشور فعملت أصبغاً زائفة لا قيمة لها . ولكن لو قدر لك وحلت تلك الألغاز ووصلت الى اللب

لقلت بأن الفضة انقلبت بعد الصبغ والتحليل والتفصيل والتركيب والحل والعقد الى ذهب خالص وليست هي فضة مصبوغة كما زعمت . اذ ما ذا ينقص الفضة عن الذهب غير التلرز في الذرات !! . ما ابلغ هذه الحجة وما اوضح معانيها ! . هذا رأي علماء العرب الذي قرر رأيهم عليه في عصرهم الذهبي ، ذلك العصر الذي كان يفاخر الجوزاء برجاله العاملين الذين انبثقت من عقولهم أشعة نور كانت أكثر تلالاً من نور الشمس . تلك الادمغة التي لبست من العلم تيجان العظمة والنخار ، وألبست الكون حلة الشرف والسؤدد ، لا تزال ولن تزال نخاراً للعالم ، ومجداً للعرب لا يبلى ولولبي الزمان . وقد كان الغرب اذ ذاك يتبه في ظلمات الجهالة لا مرشد ولا دليل ، فسيحان مقلب الأحوال .

آه واحر قلباه ! . ذُر الرّماد على تلك النار المتأججة فأخمدتها ، وغربت هاتيك الشمس نعيم الظلام على تلك الربوع ، فاستبدل الخوف بالأمن والهمجية بالمدينة والذل بالهز والجهل بالعلم ، فأصبحنا نسمع في هذا الليل المدمم انات الأيامى وبكاء اليسامى واستغاثة المظلوم فلا حول ولا قوة الا بالله . وبعد ذلك نغلبت الايدي الآثمة وهدمت تلك العروش ودكتها ، واستولت على الكتب فأحرقت معظمها ، ولم تبق الا النزر القليل . وهو اليوم يزين أكثر دور الكتب في اوربا العظيمة وبعد من أهم الآثار العربية القديمة فيها . ثم ما ذا ؟ . اخذت نبتت أشعة النور الذهبية من بين طيات تلك الصفحات التي ادخرت فيها محصلات عقول اولئك المنكودي الطالع ، فاستنار الغرب وأبصر الحقيقة . فترك التمصب والوحشية وأقبل بمجد ونشاط الى حياض العلم فورد الماء زلالاً وطاب له مورداً . ثم تعلم وعلم فنقدم . وبني على تلك الأبقاض المدرسة صروحاً لا تفنى ولا تيهدم ؟ ! .

فهل بحث الغربي في المادة والجوهر وامكان انقسامه او تحوله ؟ . نعم وقد رجع في حكمه الى نظرية اليونان القائلة بعدم الانقسام ، وزاد على ذلك (لا فوزيه) العالم الفرنسي الكبير بقوله بعدم إمكان تغير المادة وبكونها ليست فانية ابضاً ووضع قانونه المشهور (Dans la nature rien ne se perds rien ne se crée)

اي لا شيء يفقد ولا شيء يخلق في هذا الوجود» . خالف لافوازيه العرب وله الحق لانه لم يفهم من كتبهم الا ظاهرا الاقوال ولم ينجح بالأفعال . لان كتب الاقدمين عبارة عن رموز والغاز كانوا يلتقونها خواص تلامذتهم ويكتبونها عمن لا يستحقها من اهل الغباوة والدناءة فصانوها وضمنوا بها ، خوفاً على العالم من الاضحلال وسوء المآل . ظل هذا الاعتقاد منتشراً في اوربا ما يقرب من قرن ونيف الى ان اكتشف معدن الراديوم ابو العجائب فبطل حكم لافوازيه وسقط قانونه من شاق مجده ، اذ ثبت تحول هذا العنصر الجديد من شكل الى شكل آخر . وثبت ان المادة فائية ايضاً كما جاء في نظريات العالم غوستاف لوبون القائلة ان المادة تُنقل بالتدرج الى قوة والقوة الى الأثير ؟ ! .

واليكم ياسادتي آخر حكم بعد طول التجربة والاختبار ! . اكتشف معدن الراديوم سنة ١٨٩٩ العالم كوري وزوجته والعالم بيمون (Bmeont) . وهو معدن متصف بصفات غريبة في بابها من حيث نشره للحرارة والضياء من غير وقوع فعل كهياوي او حكي ومن غير ان ينقص من وزنه شيء في الظاهر .

ظن العلماء بادبي^٤ ذي بدء ان اجزاء الراديوم منبع تصعدت ثابتة ودائمة ، اي ان الحرارة والضياء المنبعثين منها ناشئان من تحول القدرة المدخرة فيها الى قدرة فعالة . ولكن مكشفه كوري وزوجته مع ثلة من ارباب العلم قالوا : ان ذلك ناشئ عن انقسام اجزاء الراديوم وتحولها الى هليوم . فوزن جوهر الراديوم ٢٢٥ والظليوم ٤ . وهاكم الاثبات :

قال كوري وضعت ثمرة جافة من الراديوم بوزن ٧٠ / . سانتيفراما في كرة زجاجية اخلت هواءها وسددتها على النار سداً محكماً . وبعد ان تركتها ثلاثة اشهر عدت اليها فاصداً فتحها بالمبرد « ودفماً لكل احتمال سترت نفسي انا وعاواني بقوة تخين » فلم اكد أضع المبرد الا وحدثت صدمة يصحبها اشتعال خفيف وانثرت قطعة الراديوم في الغرفة اجزاء صغيرة ، بقيت عشرة ايام انا وعاواني حتى جمعتها . اما اسباب الاشتعال والصدمة فهو انقلاب معدن الراديوم الى غاز الهليوم الذي احدث تضيقاً عظيماً داخل الكرة .

فبعد ان نشر كوري تجربته هذه في جرائد باريز قام اهل العلم وقعدوا بين مصدق ومكذب ومثبه ، ونظر صودي (Soddy) وراسمو (Rasmoy) مشاهدات كوري هذه واثبتا تحول الراديوم الى هليوم حقيقة ، وذلك انها اُخليا هواء أنبوب زجاجي وجمعا فيه تصعدت راديوم فعال ونورا محتوي يانه بتصعدت الكترينكية ثم عايناه بمرآة الطيف فرأيا الطيف المخصوص بالهليوم . فأقر اهل العلم حينئذ بالحكم وطأطأوا الرؤوس أمام الحقيقة الراهنة وبالطبع يتحققوا ان من قال بإمكان تحول المعادن بعضها الى بعض محق في دعواه وبأن العناصر من مادة واحدة . ومن ثم اخذوا ينظرون و (خصوصا بعض المتأخرين منهم) الى العرب الكرام بعين الاعتبار بعدما كانوا يرمقونهم بنظرات الازدراء والاحقار .

وأجمل من هذا نظرية جان بران الحديثة التي شبه بها الجوهر الفرد بالكون فقال : الجوهر الفرد مكون من اجزاء صغيرة غير متجانسة دعاها الكترون . وان هذه الألكترونات ليست بحجم واحد . فبعضها كبير وبعضها صغير ، فالكبيرة تحمل الكهرباء المثبت وتدور على محورها كالشمس ، والصغيرة تحمل الكهرباء المنفي وتدور حول الاجزاء الكبيرة كالسيارات ويتكون من هذين التسمين جملة معتدلة هي الجوهر الفرد . وان جميع الاجزاء الفردية من مادة واحدة واختلافها في الاجسام البسيطة ناشي عن اختلاف سرعة الاجزاء الصغيرة الدائرة حول الشمس وبعدها عن مركز المحور . واختلاف وزن الجواهر بعضها عن بعض ناشي عن اختلاف عدد الشمس والسيارات فيها . فالجواهر الثقيلة مكونة من عدة شمس وسيارات كثيرة والخفيفة مكونة من شمس واحدة وسيارات قليلة . وهكذا فالراديوم الكثير الشمس والسيارات تخلص بعض سياراته من الجاذبة المركزية اثناء دورها وتنتصاع بجالة اجزاء صغيرة مثبتة هي الهليوم .

فما أشبه هذه النظرية بنظرية الجلدي وأضرابه الذين يقولون بان الفرق بين العناصر هو التلزز في الذرات وعدم التساري في القوى من حيث الحرارة والرطوبة والبرودة والهيوسة .

اصفوا اليّ يا سادتي واسمعوا هذه الأعمجوبة . قال صاحب الشذور :
 فشتان بين اثنين هذا مكوكب يدور وهذا مركز للمركز
 وانها عند الحكيم لواحد لانهما من واحد متميز
 فهذا على هذا يدور وهذه لها مركز رأس بقدره راكز
 وبينها ضداً منفي ومثبت لقاؤهما فردين ليس يحاجز
 وبينها جسم مشف كانه من اللطف فيما بينها غير حاجز
 فأعجب بها من اربع حال بعضها الى بعضها عن نسبة في الغرائز
 ولا أعلم ان كان هذا من باب توارد الخاطر ما بين صاحب الشذور وجان بران .
 اد ان روح الاول حلت بالثاني بعدمضي ٨٠٠ سنة تقريباً ان كنا من بقول بالحلل .
 والله أعلم .

نتج معنا أخيراً اتفاق الكلمة على وحدة المادة وعلى إمكان التحول ، وبالطبع ليس
 الهيدروجين هو اصل العناصر لانه جوهر ربما يكون كبيراً ومكوناً من شمس كثيرة
 وسيارات ، ويأتي يوم يتوصل فيه علماء الفن لفصم هذه الكواكب بعضها عن بعض ،
 والحصول على أجسام أبسط من الهيدروجين . قرأت في جريدة تركية على أثر
 انتهاء الحرب العامة ولعلها « إقدام » مقالة مترجمة عن مجلة انكليزية مفادها : اثبات
 إنقسام عنصر الآزوت (وهو العنصر الموجود في الهواء المحيط بنا والذي يؤلف
 اربعة أثمانه تقريباً) الى غازي الهيدروجين والهليوم . فهذه خطوة كبرى في
 انقسام المادة ايضاً وربما سنسمع بتحول وانقسام عنصر تلو عنصر مادام العلم يتقدم
 الخطوات الى الأمام والمستقبل بيد الله .

* * *

لنعد الى سؤالنا الأخير : وهو هل نوصل العرب حقيقة الى صنع الذهب ؟
 اجيب عن ذلك بما يأتي :

تلك آثارنا ندل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
 ولدنيا اليوم من تلك الآثار القديمة بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة من كتب
 فن وأدب وتاريخ الخ . وكلها تشهد بانهم كانوا يصنعون الذهب حقيقة . واليك

ما جاء في عيون الأنباء في تاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعة في ترجمة أبي بكر محمد ابن زكريا الرازي قال : وكان في اول امره قد عُني بعلم السيمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن وله تصانيف ايضا في ذلك . ونقلت بالمظفر بن معرف قال : كان الرازي يقول : انا لا أسمى فيلسوفاً الا من كان قد علم صنعة الكيمياء لانه يستغني عن التكسب من اوساخ الناس وينزه عما في أيديهم ولم يحتج اليهم . ثم قال وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الزوم سبائك ذهب وثاروا بها الى بلادهم ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير وتبين لهم زيفها فجاؤا بها اليه وألزم بردها . وقال ان الوزير كان أضاف الرازي فأكل عنده أظمة لذينة لا يمكن ان يأكل أطيب منها ، ثم ان الوزير تحيل بعد ذلك حتى اشترى احدى الجوارى التي تطبخ الأظمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك . فلما صنعت له اظمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي فلما سأله عن ذلك ذكرت له ان الطبخ واحد بل اننا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضة . فسبق الى ذهنه حينئذ ان جودة الأظمة انما هي من ذلك وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك وانكر معرفته خنقه صراً بوتر . وهكذا ذنب الرازي ظمة المطامع الاشعية رحمه الله تعالى .

وذكر ابن أبي أصيبعة ايضا من مؤلفات الرازي اثني عشر كتاباً في الصنعة (اي صنعة عمل الذهب) الاول كتاب المدخل التعليمي الثاني كتاب المدخل البرهاني الثالث كتاب الاثبات الرابع كتاب التدبير الخامس كتاب الحجر السادس كتاب الاكسير وهو عشرة أبواب السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها الثامن كتاب الترتيب التاسع كتاب التدابير العاشر كتاب الشواهد ونكت الرموز الحادي عشر كتاب المهن الثاني عشر كتاب الحبل وختمها بكتاب أثبت فيه ان صناعة الكيمياء صناعة أقرب الى الوجود من الامتناع سماه كتاب الاثبات . وقد كتب الامير خالد بن يزيد لابي يزيد وكان سافر في طلب العلم وخصوصاً الكيمياء ببشره بنجاح مسماه .

أيارا كبراً نحو الشآم عشيةً يؤم دمشقاً قف فحمل كنايةا
وبلغ يزيداً حين يتلو رسالتي وقل خالداً قد نال ما كان راجيا
الاقدم لكت الشمس والبدر عنوة وحزتها من بعد طول عنائيا

ويقصد من الشمس الذهب ومن البدر الفضة كما هو معلوم من مصطلحاتهم . والامير خالد من يستشهد باقواله وانماله اكثر علماء الكيمياء القديمة . وله كتاب الفردوس الأعلى الذي جمع فأوعى رحمه الله رحمة واسعة .

ومن الشواهد على ذلك قول صاحب الثذور : « وقد ذكروا عنه انه بدأ في تحصيل هذه الصنعة وعمره نحو الثلاثين وبقي يبحث نحو ثلاثين سنة حتى فاز بالفرض ولسوء الطالع لم يعش بعدها اكثر من ست سنوات دون في خلالها كثيراً من الحقائق ناظماً عقدها بقصائده الرقيقة التي تدل على مقدرته وتلو كعبه ومن قوله :

فما زلت والاحشاء تنفوس كأنها لشدة ما ألقى بنار الجوى تكوى
ازبل مصون الدمع في نيل وصاها فكنت كأنني منه أخبط في عشا
فلما رأيت الوصل ينأى بجانب ولم استطع صبراً على الرشا الاقوى
وهاج من الأشواق ما بي لو انه بهيج برضوى ذاب من حرها رضوى
سألت الذي يجي الرميم بلطفه فيجعله للروح بعد البلى مشوى
ليفتح لي في الحب أبواب وصاها فلت على اثقال هجرانها اقوى
فقرب مني دارها فاذا المومس وان كان مر الطعم احلى من السلوى
ولما التقينا بالمعرف أقبلت تراصلي حباً وتهجرني زهوى
فلم أراشهي من وصال مكدر بهجر اذا لم يفسد الكدر الصفوى
فكنت وإياها وقد لفنا المومس كأننا مماء ماء الغمامة والقهوى
فلا ننكرا بعد الفراق انصاننا فما برحت مني على بعدها عضواً
ولا تعجبا ان كنتما قد علمنا بنفريقنا جزئين من عودنا جزءاً
لقد خلقت مني بالطف حيلة كما خلقت من آدم زوجه حوى
واني وإياها لضدان روحها على الوصل بي لنمو وجسمي بها يذوى
فقد ضمن قصيدته هذه رحمه الله الصنعة من أولها الى آخرها .

ومن الأدلة الواضحة أيضاً ما جاء في مقال الأستاذ محمد كرد علي في الجزء الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمي شيد الله أركانته وهو بعد ما جاء في مخلفات سنان باشا احد حكام دمشق سابقاً . وباني جامع السنانية ، نقلًا عن كتاب الباشاية والنضارة الخطي الذي وجد في مكتبة برلين قوله : وفي داخل صندوق منها مائتا مثقال من الاكسير كل مثقال منها على الف قنطار من الحديد يستعمل ذهبًا خالصًا .
فكل هذه الأحاديث وكثرة هذا التواتر تدل على ان الامر واقع لا محالة .

* * *

انكر على العرب امرهم بهذا كثير من علماء الافرنج وعدوه سخافات وخرافات ، ومنهم من كان يطعن بهم وينسب المشتغلين به الى الجنون (والمرء عدو لما يبجل) . على انهم لم يجرموا من عاقل يقدر الناس حتى قدرهم ، او يذكر للتوحي حسنتهم ومن هؤلاء العالم فيجيد (Figuier) الذي تعرض بمقدمة كتابه الصيدلة (La pharmacie) وهو يشرح تاريخ الصيدلة حتى دور العرب فقال وأحسن وأنصف في قوله :

Les alchimistes Arabes sont nos véritables aïeux . Si l'alchimie n'a pas trouvé ce qu'elle cherchait, si elle a échoué dans ses longs efforts pour la recherche de la pierre philosophale, elle a trouvé la chimie. Et cette conquête est autrement précieuse que la vaine arcane tant poursuivi par la passion de nos pères .

ومعناه ان سجاوي العرب هم أجدادنا الحقيقيون ، فاذا لم تجد السيمياء ولم تنوفق بعد العناء الطويل للظفر بججر الفلاسفة فانها وجدت الكيمياء . وهذا التوفيق اثن من الأسرار العدمية النائدة التي أدلج بها آباؤنا ايما ولوع .

ابا علماء الفـن الحاضر من الافرنج فانهم يبحثون اليوم عن عمل الذهب وقلب أعيان المعادن بعدما تبين لهم قابلية انقسام المادة وتحويلها ، وثبت لديهم وحدة المادة ، واكبر دليل على ذلك الموسيو روترفورد العالم الانكليزي وما قام به من قلب عدة معادن بواسطة معدن الراديوم .

اما فكري الخاص ياسادة فهو إمكان (اعمال الذهب بالطريقة الصناعية) وبان

الأقدمين قد صنعوه حقيقة ، ولكنهم تجبوا صنعهم هذا بستار كثيف من الرموز ، لم يتمكن احد من الناس ان يحمله الا من لقتوه ذلك ، واخذوا عليه بنفس الوقت العهود ان لا يروح به الا للاهل . وقد مات هؤلاء وتواروا في التراب وتوارت معهم صنعة الذهب وبقيت سراً مجهولاً . ومهما حاولنا كشف القناع عن هذا السر فلا نستطيع لان كل عالم منهم وضع لنفسه رموزاً خاصة به وبمريديه فقط لا يطلعون احداً عليها معها حاول . وكثير منهم من قتل ولم ينجح بكلمة واحدة . والحق معهم في ذلك لان في الذهب قوام الهيئة الاجتماعية فان أبتذل اندك ذلك القوام وعمت الفوضى . ولا يخفى انه عندما صنع الماس الصناعي في فرنسا وضع قانون يقضي باعدام كل من يصنع الماس صيانة لثروة الملوك والأمر الشريفة والمصارف الخ .

اما من يتردد من آونة الى أخرى الى دمشق وغيرها ممن يدعون صنع الذهب فمؤلاهم قوم لصوص أشرار يعشون بعمول السدج فيختلسون اموالهم ويذهبون . فان كانوا حقيقة يصنعون الذهب فيلم يوهون على الناس بالباطل وقد اطعمهم الله على سر يغنيهم عن ارتكاب هذه الرذائل ؟ ولكنهم اتخذوا من الفدر والصوصية اكسيراً يحولون به ذهب الناس الى جيوبهم ، لا النحاس فضة ولا الفضة ذهباً ! ! ! .

اخذركم ياسادة من الوقوع في فخهم فانهم نوم ماكرون ، ومن الله لا يخافون ، يستبيحون في نيل غرضهم هذا كل ما يخالف الدين والوجدان ، ولا يسألون عن سلطة ولا سلطان .

اذكر لكم يا سادتي نبذة من اعمالهم في دمشق وكثيراً ما هي : جاء رجل قبل الحرب العامة الى دمشق وقد ظنه القوم ولياً طياراً من ظواهره التي كان يخدع بها الناس . وقد وقع في شركه رجل مسكين فقد اخيراً ثروته وثرثرة امرأته وبعض ذوبه . لان المحتال خلا به وهو في ضيافته يوماً وقال له يا ولدي نحن نصنع الذهب اذهب الى السوق واحضرمك كذا وكذا . فذهب المسكين لاجتماع ما أمر به ونفسه تحفته بالسعادة ولم يعلم ما خيأ له من المكيدة . وفي غيابه حضر بعض قطع الفحم ووضع فيها ليرة ذهبية واحكم مدها ، فجاء صاحب الدار باللوازم فوضع المحتال الزئبق في البوتقة واحاطها بالفحم من كل طرف ، ثم وضع الفحم المحشوة على فم البوتقة ،

ووضع فوقها فخماً ايضاً للحصول على حرارة عالية واضرم النار ، وما هي الا ربع ساعة
نقر بياً حتى اخرج من جيبه زجاجة فيها بعض نقاط من ماء ذهبي اللون وقال : هذا
هو الاكسير واناأسف لانه على وشك النفاد وصب ما فيها في البونقة ، وبالطبع تجبر
الزئبق خلال ذلك ولم يبق منه اثر وانصهرت الليرة من شدة الحرارة وانصبت داخل
البونقة فعندما تحققت ذلك ابرقت عيناه بالسرور وقال الحمد لله لقد نضج وصح العمل .
ثم اخرج البونقة وصب ما فيها بقالب حديدي صغير على شكل منشور مستطيل
ودفعها بعد ان بردت الى صاحبنا وقال له اذهب الى الصاغة وبع هذه وموعد اجتماعنا
غداً ان شاء الله .

ذهب الأبله وعرض قطعة الذهب على صائغ فتأمل فيها وفحصها على المحك
وقال هذا ذهب بعمار ٢٢ واشتراماً منه بتميتها نقر بياً . فجنّ الرجل واتى مسرعاً الى
امرأته وقص عليها ما كان فقالت يجب ان تدعو الشيخ ثانية وتعمل كل الاصاليب
لارضائه طمّ بين علينا بتعليمك هذه الصنعة (واخذوا يخمسون الرايات) وبنون
فصوراً شاهدة في الهواء على اساس من الماء .

قام الرجل والشمس لم تشرق بعد وذهب الى الشيخ وانحني امامه ليقبل رجله .
فانكر عليه الحال وقال : ياشيخ لا تكن مكذبا يجب ان لا تظاهر ، فأنا لا أطلع احداً
على هذا السر ولو ملاّ لي الدنيا ذهباً ، تكتم ما امكنك . واخلاصة ظل يواعده
ويخلف حتى عيل المسكين صبراً واخيراً جاء اليه وقال : يا رجل انما تمنع عن الحبي
لان الاكسير انتهى . فقال يا سيدي اصنع منه . قال جيد ولكن يحتاج الى خميرة
من الذهب اخالص وكل درهم منه يكفي لقلب رطل من الزئبق او الرصاص الى
ذهب خالص باذن الله .

فذهب الرجل الى امرأته يستشيرها فقالت : صحيح انك ابله هذه حلالي الذهبية
ارهنها واعطه الدرهم التي ادخروناها ليعمل لنا اكسيراً كثيراً تستفني به عن التعب
(وثقعد انت في البيت بلا عمل كما خلصت النقصة نعمل طيخة وهكذا « نبتط »
« شوقي » بالدنيا غير المم والكدر) . فقال : حقاً ما تقولين واخذ الاساور من ساعته
وباعها واحضر ٢٠٠ ليرة من دكانه وهي المال ورأس المال . فكان المجموع ٣٥٠

ليرة تقر بيًا قدمها لصاحبنا (هدية باردة) فقال له بعد ان وضعها على الرف ولم يكثر بها : تعمل اليوم في الليل ان شاء الله خوفاً من الفضيحة وقام بصلي . فهياً صاحب الدار مالد وطاب من الزاد فأكلوا وانبطوا وجلسوا يتسامرون حتي قارب نصف الليل قام الشيخ وأوقد النار وأخرج من جيبه حشائش غلاها بالماء حتى قرب الجفاف فاستخرج مادة كالحبر الأحمر ثم وضع في البوتقة قطعاً من الرصاص وأكثر من الفحم فانقدت النار وأخذ يضع من آونة الى أخرى نقطة نقطة من حبه على الرصاص ويمرك ويعزم ويقراً ويتمتع ببعض ككات غير مفهومة ، ثم قال له نجاسة ثم ونم يا رجل فقد صح العمل وتحتاج العملية الى تدبير على هذه النار ساعتين أخربين ايضاً وأصر عليه فامثل الرجل خوفاً من غضب الشيخ وتفوره . وقام من ساعته ونام ومن شدة نومه لم يستيقظ حتى مضى على بزوغ الشمس ساعة ونصف ، وقد أيقظته امرأته وقالت له اين الشيخ أفاق وهو يفرك عينيه وقال ربما يكون نائماً مسكين كم تعب في الليلة الماضية . هيئي القهوة ، هيئي الشاي . قالت لم أجد الشيخ مطلقاً قام كالمجنون وذهب الى غرفة الشيخ فلم يجد له أثراً وفتح الباب واخذ يفتش عليه في كل محل كان يتردد اليه فلم يثر عليه وهكذا أضاع الشيخ وأضاع ماله وأضاع حلى امرأته وندم ولات حين مندم .

وزيادة على ذلك فان من يرى مثل ما رأى صاحبنا يتعلق بحب متكئاً وطامعاً في السعادة ويشغل ولا يكاد يجمع شيئاً من المال الا وينفقه في هذا السبيل . والحق معه لان الرجل الذي يدرس في حياته ولم يطلع على المعادن وأشكالها وصفاتها ويرى لاول وهلة زئبقاً رجراجاً وفضة يرافقة لامعة وذهباً وهاجاً يُتَلَبُّ عقله ولا يستمع نصيح ناصح . هما حاول في إقناعه بان هذه الطرق التي يتبعها عقيدة لا نتيجة منها .

وها انا ذا أجري لحضرتكم بعض التجارب البسيطة التي ربما يضحك من عملها صفار الطلاب :

« تجربة إحراق الماء » وضع سوائل غير ملونة واستحصل الوان مختلفة الخ .

ان الناظر اليّ لأول وهلة ممن لم يقرأ شيئاً من هذه العلوم يظن اني اعمل السحر او آثي بالعجائب او ابواب سبها وغير ذلك على انها في الحقيقة من ابسط البسائط لمن يعلم سرها ويعرف رموزها ، وهكذا يا سادتي ان الذين صنعوا الذهب كتموه عن الناس ورمزوا له الرموز التي لو وقف على حقيقتها الانسان لعمل عملهم وتوصل لما توصلوا اليه على ايسر وجه .

رموزهم القديمة لا كرموزنا فان لم يتلقنها المتعلم بطول المدة من فم الاستاذ فلا يمكن ان يدرىها او يعلم شيئاً منها . ومنذ قرأت قول الكبرياء الشهيرة مارية القبطية « اذا سمعتم في كتبنا بكلياً او هدماً او ضرباً او دكاً او تحليلاً او تصعيداً فهو جميعه شيء واحد وهو تقع الطبائع في مائنا » رجعت بالخبية . كيف يمكن الوصول ولم للقصد يز مثلاً الاسماء الآتية : « التصدير ، المشتري ، انك ، ابرص ، صرار ، كوكب و كسر ، قلعي ، رخو ، كبريت ابيض ، زهرة بيضا ، القاضي ، الصابون ، النسر الطائر ، دماغ النحاس ، مهلك الاجساد ، السم الابيض ، الرخض ، المتين ، الزفر ، الاصفر ، السعد الاعظم ، حجر الأشعث ، زواش ، السادس » ولالزئبق : « عطار ، الماء الثقيل ، الجسد الرطب ، العبد ، الآبق ، الضرار ، السحاب ، البرق ، العنان ، روح الاجساد ، الماء الخالد ، الجسد السائل ، النين ، ماء الحياة ، نطفة ، الطير الابيض ، الذهب السائل ، الملك ، الأوّل الرطب ، الهوى المتجد ، العنقاء ، هرمس ، الثاني الخ » وقس عليها بقية الاجساد المعدنية .

و يلخصون عملهم بقول بعضهم :

خذ الضرار والطلقا وشيئاً يشبه البرقا

اذا مازجتهم متحفا ملكت القرب والشرقا

ولعمري ان من يحل هذا الرمز بعمل الذهب . وبعيني جداً قول ابي قاسم العراقي فانه بعد ان ذكر طريقة العمل بقصة غريبة اذ كرّم شيئاً منها . قال :

وهذه الهبولى واحدة اعني من شيء واحد وليست من اشياء منفرة ولا مخالفة ولا مختلفة لان الاشياء المختلفة المنفرقة اذا تركبت فرقا النار . وهذه المادة لا يمكنها تأثير صلاح دون نفعها وتركيبها حتى تظهر فيها هذه الخاصة . وانما احتيج الى تفصيلها

لعلمة وهو ان الاكسبر انما هو زراعة ذهب فاحتاجوا الى غذاء يدخلونه على هذا النوع وليتو وينبع وبثمر فأخذوا من الأغذية ما يمازج ذلك النوع في حال الطبيعة ممازجة صلاح لا فساد لكن من جوهره فأدخلوه عليه برطوبة عفتها وحلاتها ولطفتها ، فلما لطفت صعدت الى اعلى الاناء غذاء لا ثقل فيه وفضل تحتها ثقل لطيف يسمى الملح ، فأصعدته بالنار اليابسة فطلع جرادة كجرادة الفضة خالصاً من سواد الارض وظئتها وكثانتها وكان ارضاً محروثة وكان الغذاء الاول ماء كيموسياً ففرسوا في هذه الارض المحروثة جنينهم بل غصنهم وسقوه ماءهم الكيموسي مع التلطف بالتربية والحرارة اللطيفة فطلع ذلك النبات الممدني وابنع واثمر والطف زهراً وخميراً سميّاً يلقي على الورق فيصيره ذهباً اجود من ذهب المعدن . وهذه الهيولي المقومة لصورة الاكسبر توجد في شجرة واحدة تطلع بارض المغرب منها فرعات عالين لا يدركها طالبيها الا بالجهد والتمب لولا كل من ثمرهما . وغصنان دونها لكن ثمرهما اشد بيبساً وتعليكاً من الاثنين المتقدمين ونور احدهما احمر والثاني ما بين اليباض والسواد . وغصنان دونها وهما ادنى وارخى من الاربعة المتقدمة ونور احدهما اسود والآخر ما بين اليباض والصفرة . وهذه الشجرة تثبت في البحر المحيط على وجهه كما تثبت النبات على وجه الارض وهذه الشجرة التي من اكل منها خضع له الانس والجن . وهي التي نهي آدم عن اكلها فلما اكلها استحال من الصورة الملائكية الى الصورة الانسانية . وهذه الشجرة انقلب في كل صورة من صور الحيوان . وقد توجد هذه الهيولي في طائر جثته جثة انسان وجناحه جناح طائر له اربعة ارجل ويدان ، اما ارجله فحقيرة واما يداه فعزيزتان لمنفعتيها ولو علم الجامل ان اليدين لا قوام لها الا بالاربعة ارجل لكان عليهما اشد حرصاً من اليدين . وقد توجد هذه الهيولي في جزيرة الاندلس الباردة في منهي البحر المحيط الجامعة للكهوف الاسطوسية . وربما توجد في جبل بارض الهند في صخور مختلفة الالوان والطعوم والارايح والخواص . فمنها صخرة بأوبيا اسد شرس وربما كانت حامياها واعلاها محيط باسفلها وادناها متصل باقصاها ورأسها موضع ذنبيها وبالعكس ومنها صخرة يحملها حيوان بحري محترق مختلف المشي وهذه الصخرة لها قرنان يظهران في كوف ولادتها حتى اذا مضى من عمرها

النصف عادت مدورة الجنة فاذا ذهب نصف عمرها عاد القرنان كما هما الى آخر عمرها وهذا دأبها في كل الاوقات .

ومنها صخرة يتداول على حملها حيوان شبق على عنقه جلة حيوان آخر مؤلف يحمل احد الثقلين وهذه الصخرة معدن الخبث والرداءة والكر والغل ومنها صخرتان احدهما ذكر والاخرى أنثى وصخرتان احدهما مصرية والاخرى كرجية ، وفي هذا الجبل كل فن من فنون العالم . لا يوجد حقد ولا مكر الا وهو فيه ، ولا يوجد علم وحلم وفلسفة الا هو فيه ، ولا يوجد حمد وسخاء الا وهو فيه ، ولا يوجد لهو ولا طرب وغناء ومزمار واوتار ونكاح ومزاح الا وهو فيه ، ولا يوجد وزارة وزير ومشير ومدير الا وهو فيه ، من ارض الهند ملك ومن ارض مصر حكيم ومن ارض فارس سباق .

فهذه اوصاف هذا الجبل وما فيه من العجائب فافهم فانها اشارات الحكماء بينهم معناها من كان للحكمة اهلاً ومن هو بالرموز وفكها اولى ، واعلم انا قلنا كذا وكذا لما كان لنا في ذلك والله فضل ولكن يؤخذ منا على سبيل الاستهزاء . وقد اتكناك على عقلك بعد الله ونم من اتكناك عليه والحمد لله وحده . فان فهمت وكنت عالماً بلفظنا نهجت والا نتحك ان لا تضع مالك ووقتك ودينك لانا اهل مدينة لا يمكن الدخول اليها الا من يعلم بلفظنا . وقال صاحب الشذور :

اذا كنت في حل الرموز مدانيا اخانا فقد نالت الذي كنت راجيا
والا فلا ترتع بها فهي روضة قد امتلأت للرائدين افاعيا
الى ان قال :

تمني رجال من ذوي الجهل علمنا وما كل ذي علم ينال الامانيا
ثم بقول :

هي الصنعة المضروب من دون نيلها من الرمز اسوار تشيب النواصيا
ولكنها ادنى اذا كانت عالماً الى المرء من جبل الوريد تدانيا
واني لاسخبي من المرء يرتوي به الظن في فكر الرموز المراميا
ولم يحجل العلم الرياضي روضة وكان عن العلم الآهي لاهيا

اعد نظراً فالظن كالعين لا ترى على البعد اجرام الجسوم كما هيا
أبالظن والتخمين يدرك سرنا وقد بلغت فيه النفوس المتراتيا

* * *

كان لها منها عليها أدلة ومن رمزها فيما يضللك هاديا
ولكننا لا نمتري ان دونها سنيناً ترى ايامهن لياليا
أنورثها من بعدنا شر عصابة كهولاً وشباناً وشيباً شواميا؟
تحاول ان تغشي بها كل منكر ونأمل منها ان تبج المعاصيا
فلم نختلف في ان نواري علما باجدات رمز لا تجيب البواكيا
ليدركن منها غابر الدهر سرنا جديداً وان كانت طروساً بواليا

* * *

فيا قول بعض اخواننا الذين خدعوا بهذه الصنعة الخلابية المملوءة بالآمال
وكلها أحلام نائم ، ولا يزالون يواصلون ليهمم بالنهار . فقد أضاعوا ثروتهم واموالهم
واوقاتهم ولم يحصلوا على شيء وقد شابت نواصيهم وهم غافلون .
أفيقوا يا اخواني واستيقظوا من سباتكم فكل الطرق التي سلكتموها عقبة
لا توصلكم لشيء وكل هذه الآمال خيالات وأوهام وهي كالسراب ، يحسبه الظان
.اه حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً .
عبر الوهاب القموني



تصحيح نهاية الأرب

« نعمة اغلاط الجزء الخامس »

وفي ص ١٢٦ من ٧ قوله - (وطارق يجهد في بعض الأوقات غفوها)
 سياق الكلام في أن نعم الله على الإنسان قد يشوبها مناجية من كوارث الدهر يعكّر
 صفوها (وطارق يجهد غفوها) ولا شيء من معاني (جهد) يناسب هنا فلعل صوابه
 (يجهم) بالميم يقال (جهمه) ومثله (تجهمه) إذا استقبله بوجه كالح عابس .
 و(الغفو) النضل والمعروف وخيار الشيء وأجوده . فالمعنى أن آلاء الله ونعمه على عبده
 يتجهمها في بعض الأوقات ويواجهها بالشر والتفويض طارق من طوارق الدهر
 وداعية من دواعية .

وفي ص ١٢٦ من ١٣ قوله - (فله الحمد الذي جعل الخ) (الذي) صفة لله
 تعالى إذ هو الذي جعل ما يتخلل النعم من المصائب عنواناً لعنايته بعبده فالصواب ان
 يقال (فالحمد لله الذي الخ) فتقع الصفة عقب الموصوف من دون فاصل : إذ لا يصح
 ان يقال (تزيد الشكر الذي أعطاني مالاً) وإنما يقال (الشكر تزيد الذي الخ)
 وليس الكلام شعراً حتى يقال ان التقديم والتأخير ضرورة شعرية .

وفي ص ١٢٨ من ١ قوله مهتماً بزواج : بالبنين والرفاء : (والزمن الوهد والعزة القساء)
 (الوهد) المنخفض من الأرض ولا يوصف به الزمان كما لا علاقة له بالتهاني فهو محرف
 وصوابه (الزمن الرغد) ويوصف الزمن بالرغد كما يوصف العيش والحياة قال الشاعر :
 ('مضى إن تكن حقاً تكن غاية المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغداً)

وفي ص ١٢٨ من ٤ قوله - (وتملكتُ جذلاً . وبسطت في الدعاء مذلاً)
 لا معنى (لمذل) هنا فهي في الراجح محرفة عن كلمة (بذل) . والبذل السعة في
 المطء يقال (رجل بذل) بسكون الذال من باب الوصف بالمصدر للبالغ كما يقال
 (رجل عدل) . وهنا لا بد من أحد أمرين : إما تسكين ذال (جذلاً) لتزواج
 (بذلاً) الساكنة الذال . وإما تحريك ذال (بذلاً) لتزواج ذال (جذلاً)
 المتحركة الذال .

وفي ص ١٢٩ س ١٦ قوله — (في عسكر لب) ضبط بفتح الجيم وصوابه كسرهما : يقال : جيش كجرب (بكسر الجيم) اي انه ذو كجرب (بفتحها) واللاجب اختلاط أصوات الابطال وكثرتها في ساحة الحرب . إلا ان يدعى ان وصف الجيش باللجب المفتوحة الجيم من قبيل الوصف بالمصدر كما مر لا سيما ان السجمة قبلها (ثم طلع غير مرتقب) بفتح القاف .

وفي ص ١٣٠ س ٩ قوله في تهنته بمولود (والله المسؤول ان يهنتك منه صنما يحسن في مثله الحسد) لا معنى لهذا الكلام كما ترى و (صنع) ضبط بضم فسكون . وصواب الكلام (ان يهيك منه صنما) و (صنما) بفتحين مفعول به (ليهيك) من الهبة (من) تجر بديهة اي انه تعالى يهيك ابنسا صنما . يقال : فلان صنع اللسان بالتحريك اذا كان بليفاً .

وفي ص ١٣٣ س ٨ قوله — (انه بعد كل ٥٠) صوابه بعد كلامه اي يهيه و يروزه في نفسه قبل ان ينطق به .

وفي ص ١٣٣ س ٨ قول الرشيد في (عبد الملك بن صالح) مذا تهموه أمامه بانه بهيء الكلام قبل إلقائه ولا يحسن الارتجال فقال (بل هو طبع) . الممهود في هذا التركيب (شاعر مطبوع) بمعنى انه يأتي بالشعر من دون تكلف . ولم يقولوا (شاعر طبع) وهرون الرشيد انما يصف الرجل بكونه بليفاً يرتجل كلاماً فصيحاً من دون استعداد و (الطبع) (بكسر الباء) ذو الطبع (بفتحها) وهو الدنس و (رجل طبيرم) أيضاً بمعنى انه دنيء لثيم فلعل صواب عبارة الرشيد (بل هو صنع) بفتح النون يقال فلان صنع اللسان اذا كان بليفاً كما مر . وهذا ما أراده من نقي الفهاة عن الرجل وإثبات المقدرة الكلامية له .

وفي ص ١٣٣ س ١٤ قوله — (ثمامة بن أبرش) صوابه (ابن أشرس) النخري كان زعيم فرقة القدرية في زمان المأمون والمعتمد والواثق مات سنة ٢١٣ هجرية .
وفي ص ١٣٤ س ٦ —

(كان الزمان بمن أبقى ومن أخذت صروفه مذنباً طوراً ومنصلاً)
قوله (منصلاً) مما أخطأ فيه الشاعر وصوابه (منصلاً) يقال (انصل الى

فلان من ذنبه) بمعنى تبرأ منه . وكأنه لما لم يستقم له الوزن (بمنصل) عدل الى
(منصل) لكن المعاجم لم تذكر المنصل بمعنى انصل .
وفي ص ١٣٤ س ٩ —

(كالسيف منصلاً والبحر مندفعاً والبدر مؤتلقاً والغيث مختلفاً)
قوله (منصلاً) في صفة السيف خطأ وصوابه (منصلتا) من (أصلت سيفه) جرته
من غمده فهو منصات ومنصلت ولا يقال : انصله فهو منصل .
وفي ص ١٤٧ س ٩ قوله (وما كل من بشر بأشر ولا كل من عار عاور)
هكذا بالعينين المشملتين وهو خطأ وصوابه (ولا كل من غار غاور) بالعينين بالمعجمتين
ومعنى (غار) أنف وحمي عندما تنتهك حرمة ومصدره الغيرة . أما (غاور)
فمن الغارة على المد؛ يقال غاور العدو مغارة أغار عليهم .

وفي ص ١٥٤ س ١٥ — (وصارت رؤبة الدماء نزعهم: فلواحتاج احدهم
للتقيص دم لمرض لا يجح من خوفه وما احتجم) قوله (أجح) اي مال كجح ولكن
لا يناسب ان يكون هذا المعنى مراداً هنا وانما المناسب ضده وهو التقهر والتكوص .
فالكلمة محرفة وصوابها (لا تجح من خوفه وما احتجم) وبذلك يقع بين (أجح واحتجم)
جناس الاشفاق وهو مما يهيم كاتب الرسالة مراعاته والاستكثار منه .

وفي ص ١٦٠ س ٤ قوله في صفة معركة (والجباد من المحاجر تحنى . وبالجماجم
تشمعل) (المحاجر) لما معانٍ لا تناسب هنا فهي إذن محرفة عن كلمة (الحوافر) جمع
حافر والمعنى ان تلك الجباد وهي تكرر في المعركة كانت تحنى حوافرها ونفث
فتستميض عنها بجراح القتلى .

وفي ص ١٨٤ س ٩ (كل غيث الايام ان أخلف الغية - شأطت بحابه بانهمال)
صوابه (كان غيث الأيام الخ) وهذا البيت موضعه من القصيدة بمد الأبيات
التي بعده كما يظهر بأدنى تأمل .

وفي ص ١٨٥ س ١١ قوله —

(ترى الخنوف غلوقاً في أسننه لدى الوغى وشهاب الموت قدلماً ما)
لم نجد معنى مناسباً لقوله (غلوقاً) بالمعجمة هنا . فربما كان الصواب (علوقاً)

بالمهمة اي ان الحتوف معاقمة ومعقودة بأسنه رماحه . و (الملقوق) بالمعين المهمة المفتوحة اسم من اسماء المنية فلعل معنى (ثرى الحتوف علوقا في أسنته) على هذا ان الحتف والهلاك تراه موتاً مجسماً او منية مجسمة في أسنة رماحه . والقصيدة التي منها هذا البيت للمني يري بها ابا بكر الأوخشيدي محمد بن طغج لكنها ليست موجودة في ديوانه المخطوط الذي في مكتبتي ولا في ديوانه الذي شرحه العلامة اليازجي فليحرص على هذه القصيدة محبو شعر المنبي . ومطلعيها :

(هو الزمان مشت بالذي جمعا في كل يوم نرى من صرفه بدعا)

وقد ذكر عنها في نهاية الأرب واحد وعشرون بيتاً .

وفي ص ١٨٢ من ١٠ (خذل الرمح وهو عوزك لوبا لقاؤه وثار تقع قتام)

قوله (بان) لا يناسب هنا وصوابه (حان) اي قرب ودنا .

وفي ص ١٩٤ من ١٣ (وأردت ابن زياد بالحسين فلم يؤبشسع له قدار أو ظنر)

هذا البيت من المرثية العبدونية التي مطلعيها :

(الدهر يُفجع بعسد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور)

وقوله في البيت السابق (قد طار) ضميره راجع الى (الشرسع) والشرع لا يطير

فالصواب ما في شرح ابن زيدون على القصيدة المذكورة المطبوع في ليدن — (قد طاح)

بالحاء المهمة اي سقط . وشسع النمل اذا بلي انحل وسقط . وفي نسخة لهذه القصيدة

(قد طاح) بالحاء المعجمة ولا معنى له ايضاً .

وفي ص ١٩٦ من ٤ (وأسبت عبرات للعيون على دم فنج لآل المصطفى هدر)

صوابه (بنج) بالحاء المعجمة لا الجيم و (فنج) وادب بجمكة كما في معجم البلدان وهو

الموضع الذي قُتل فيه أولئك الهاشميون سنة ١٦٩ هجرية .

وفي ص ١٩٩ من ٨ —

(من لي ولا من بهم ان عطلت منن وأخفيت السن الايام والسيار)

لعل الصواب (وأخفت) كما في النسخة المطبوعة في (ليدن) ومعناها أسكتت

من خفت الصوت مكت . وبدل عليه كلمة (السن) .

وفي ص ٢٠٣ من ١٤ (عاق الزمان شقيق الجود لم يقدر أهل ولم يفده مال ولا ولد)

لا معنى (لعاق-) هنا وصوابه (غال) اي اغتاله الزمان وأخذه على غرة .
 وفي صفحة ٢٠٤ سطر ٦ قوله - (هو الخطب الذي ابتدع الرزايا) ابتدع
 بمعنى اخترع ولا معنى لكون مصيبة هذا الفقيه اخترعت المصائب وانما مصيبته
 ابتدأت المصائب وكانت فاتحتها اذ كل المصائب التي تقدمتها ليست شيئاً بالنسبة
 اليها . (فابتدع) محرف عن (ابتداء) .

وفي صفحة ٢٠٥ سطر ١٤ قول ابي تمام :

(وأصيحت الوفود اليك وقفنا على ان لا مناد لمستفيد)

(وقفنا) كذا بقاء فناء لكن الذي في ديوان ابي تمام (وفقاً) بتقديم الفاء وهي
 أنسب معنى من (وقفنا) قال صاحب التاج في استدركااته على القاموس (جاء
 القوم وفقاً) اي متوافقين . والمعنى ان الوفود أصبوا في مجيئهم اليه متوافقين لكنهم
 لم يستفيدوا شيئاً لانهم وجدوه قد مات . والقصيدة مرثية في (عمير بن الوليد) .
 وفي صفحة ٢٠٦ سطر ٢ قوله - (وانثغر الثغر) (الثغر) هنا بمعنى البلد على حدود
 المدوّ . ولا يوجد في اللغة فعل (انثغر) كما قال المصحح الفاضل . فهو إذن محرف عن
 (انثغر) بقاء مثلثة مشددة وأصله (انثغر) من الافتعال . ومعنى (الاثغار) ان
 ياتي الصبي ثغره اي أسنانه . فالشاعر يقول ان الثغر الذي كان يحميه الفقيه قد
 انثغر وهو كناية عن فقدة جماله أو قوته أو أسباب منعته التي كانت متوفرة في زمن
 الفقيه بحيث ما عاد ينفع بذلك البلد كما لا ينفع بالثغر بعد سقوط أسنانه .

وفي صفحة ٢٠٦ سطر ٦ -

(وما مات حتى مات مضرب سيفه من السلّ واعتلت عليه القنا السُمر)

قوله (من السلّ) أي ان الفقيه لم يميت حتى مات سيفه من كثرة سله له من
 الغمد في المعركة . ولكن الشاعر انما يصف صبر الفقيه وحسن بلائه في تلك المعركة
 التي قتل فيها فهو لم يسلم سيفه فيها الا سلة واحدة بالطبع . ولا معنى لوصفه بانه
 كان يسلم سيفه في المعركة ثم يغمده ثم يسلمه دواليك . فكلمة (السلّ) مصحفة عن
 (السلّ) بالشين المعجمة وهي مصدر شأهم بسيفه اذا طردهم بين يديه طرداً ومثله كسأهم
 وكسهم أي انه لم يميت حتى مات سيفه وانكسر من شدة ما شلّ أعداءه به . ويؤيد

هذه الرواية الرواية الاخرى في البيت وهي (حتى مات مضرب سيفه من الضرب الخ) .
وفي صفحة ٢١٤ سطر ١ قوله - (وجزّ في اللحم بل براه) صوابه (وَحَزَّ) بالخاء
المهملة اي قطع أما (الجزّ) بالجيم فيستعمل في قطع الصوف والشعر والحشيش
وثمر النخيل لا اللحم .

وفي صفحة ٢٢٠ سطر ١٤ -

(فأنكحها الضريح بغير مهرٍ وجهزنا الفتاة بغير شوره)
صوابه (فأنكحنا) بضمير المتكلمين اي زوجنا فتاننا للضريح . ليتزوج مع قوله
بعده (وجهزنا) . ومعنى (شوره) خجلة .

وفي صفحة ٢٢٣ سطر ٢٠ قوله - (وان زهدوا في الأجر اذ جمش الوغى) الخ .
الجمش معنى لا تناسب إرادته هنا . وانما صوابه (حمش) بالخاء المهملة وهو (بالتخفيف
والتشديد) بمعنى اشتداد الامر واضطراب النار . ويحتمل ان تكون (جمش)
محرّفة عن (حمي) إذ يقال حمي الوطيس . و (الوطيس) الوغى .

وفي صفحة ٢٢٢ سطر ١٣ قوله - (مكرهٌ بي وبك سحيق) صوابه سحيقي .
وفي صفحة ٢٢٨ سطر ٣ قوله - (وملاذها فالى هذه الغاية) صوابه (الى
هذه الغاية) بدون (فاء) اذ لا داعي لها هنا .

وفي صفحة ٢٥٠ سطر ١ قوله - (وهي بين أهلها دُوَلٌ وسجال) بالخاء المهملة
خطأ وصوابه (سجال) بالجيم اي مرة تكون لهذا ومرة لذلك .
المصري

www.alukah.net

زيارة مخطوط قديم

دلني بعض فضلاء دمشق على كتاب خطي قديم في فن الجراحة ، موجود عند مالكه (خورشيد افندي الجركسي) من منقاعدي المالية ، زرنا الرجل في داره في الدرويشية أمام جامع (سبائي) واطلعنا على الكتاب ، فاذا هو مجلد متوسط الحجم مخروم الاول والاخر ، ومكتوب اسمه على ضمامة رؤوس اوراقه هكذا :

« الحاوي في الجراحة » كما رقم على ظهره : انه من كتب (الطبيب عبد القادر عوده) الدمشقي الذي كان حياً سنة (١٢٧٩) للهجرة . ثم ملك الكتاب ورثته من بعده . وقد فهمت من الناقل الدمشقي الذي كان معي في زيارة هذا المخطوط كما حدثني غيره ايضاً - انه بعد موت الطبيب عوده المذكور كانت كتبه الطبية تباع اكداساً في أسواق دمشق بثمن بخس دراهم معدودة .

تصفحت الكتاب فاذا هو مبوب بحسب أعضاء الجسم وما يطرأ عليها من العلل التي تفتضي العمليات الجراحية : كالعين والحنجرة وأعضاء التناسل في الرجال والنساء الخ . والمؤلف يبني فصول كتابه غالباً على النظريات الطبية المنسوبة الى من تقدمه من الاطباء : فهو يقول مثلاً (القول او الكلام على رأي الطبيب فلان في عملية العضو الفلاني) .

وخط الكتاب قديم ويلتزم كاتبه في كتابة بعض حروفه شكلاً خاصاً مثل الهاء واللام الف .

ومن غريب امر هذا الكتاب ان حرف الدال لا يذكر فيه الا منقطاً اي ذالاً معجمة . فما أدري ان كان المؤلف او الناسخ من بعض البلاد التي ينطق اهلها الدال ذالاً دائماً او انه من أمة السريان او المبرانيين او غيرهم ان كانوا ينطقون الدال ذالاً .

ومن مميزات هذا الكتاب انه يرسم صور آلات الجراحة المختلفة بالخبر الأسود او الأحمر . لكن الرسم غير منقن ولا محكم الوضع . كما ان خط الكتاب كذلك . فالكتاب بصور عدة صور من أشكال السكاكين والمباضع والمشارط والمحاقن وغير

ذلك ويخص كل عملية بآلة من هذه الآلات الجراحية . ومن لطيف ما رأيت فيه صورة محقنة على هيئة المحاقن الزجاجية المعروفة اليوم - في الصيدليات وهي تجم أصبع اليد . ونسبها نحن محقنة أو حقنة أو طلمبة اما المؤلف فيسميها (زَرَاقَة) . وعلى أطراف صفحات الكتاب هوامش يخط (الطبيب الياس البيروتي) (وبعض هذه الهوامش يقول - تعليقاً على إحدى العمليات الجراحية - انه هو (اي الياس البيروتي) عمل هذه العملية سنة بضع وسبعين وثمانمائة . فقد دللنا هذه الهامشة على الزمن الذي كان يعيش فيه الطبيب الياس المذكور . كما دللنا على ان مؤلف كتاب (حاوي الجراحة) الذي نحن في صدد الكلام عليه كان قبل ذلك التاريخ .

وعلى حاشية الكتاب ايضاً هامشة تعلن وفاة (ميخائيل بن جرجس الطبيب) فمن هذه الهوامش يظهر ان الكتاب ملكه أطباء سوربون نصارى ولكن من الذي آتاه من الأطباء ؟ ؟ .

غادرت بيت الرجل صاحب الكتاب شاكراً لطفه وحفاوته وانتقلت الى (دار المجمع العلمي) فراجعت فهرست ابن النديم فوجدته يقول : ان لابي بكر الرازي الطبيب المشهور والتوفى سنة (٣١١) للهجرة كتاباً في الطب اسمه (الحاوي) ويسمى ايضاً (الجامع الحاصر لصناعة الطب) وهو يقسم الى اثني عشر قسماً . والقسم الثالث منه في (الرئية والجبر والجراحات) ويريد من (الرئية) رَأَبَ الصَدَعِ والثأ في الرجل .

والرَأَب هو الذي يرأب الاعضاء الموثوءة . فهل كتاب (الحاوي في الجراحة) الذي زرناه هو القسم الثالث من الكتاب حاوي الرازي في الطب ؟ ؟ . هذا ما قاله صاحب الفهرست ، اما صاحب كشف الظنون فقد ذكر كتابين طبين باسم (الحاوي) : احدهما (الحاوي في علم التداوي) لنجم الدين محمود بن الشيخ (صائغ الدين الياس) الشيرازي . قال وهو مجلد واحد مرتب على خمس مقالات . وكلها تدور حول الملل والحميات والأدوية . ولم يذكر ان بينها قسماً يتعلق بالجراحة فليس له علاقة إذن بالمخطوط الذي زرناه وقلنا ان اسمه (الحاوي في الجراحة) .

والكتاب الثاني الذي ذكره صاحب كشف الظنون هو (الحاوي في الطب)
لابي بكر الرازي وقد نقلنا آنفاً ما قاله صاحب الفهرست فيه . وزاد صاحب كشف
الظنون ان (رشيد الدين أباسعيد بن يعقوب المسيحي القدسي) المتوفى سنة ٦٤٦
للهجرة علق على (حاوي الرازي) تعاليق وقد اختصره (الدخوار) وهو مذهب الدين
عبد المنعم الذي أنشأ مدرسة الطب الدخوارية في دمشق سنة ٦٢١ وهل مخطوطنا
الذي زرناه ووصفناه هو تعاليق الطبيب رشيد الدين المسيحي القدسي التي قال
صاحب كشف الظنون انه علقها على (حاوي الرازي) ؟ لكننا ذكرنا آنفاً ان اسم
المخطوط مرقوم عليه هكذا : (الحاوي في الجراحة) .

بقي علينا ان ننظر ما يقوله ابن ابي أصيبعة في كتابه (طبقات الاطباء) قال :
ان كتاب (الحاوي) هو اجل كتب (ابي بكر الرازي) وأعظمها في صناعة
الطب وذلك لانه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من
سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه . ونسب كل شيء نقله فيه
الى قائله . وتوفي (الرازي) ولم ينسح له في الأجل كي يحجر هذا الكتاب) .

وبما استفدناه من محاضرة رصيفنا الدكتور اسعد الحكيم التي ألقاها منذ حين
في ردهة المجمع ان (حاوي الرازي) امتدت شهرته الى اوربا . وان (شارل) ملك
سبيليا (صقليه) ارسل وفداً الى ملك تونس بطلب منه كتاب (الحاوي) .
المذكور وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد اي بعد وفاة مؤلفه الرازي بنحو اربعمائة
سنة . وذكر الدكتور اسعد افندي ايضاً كتاباً في الطب اسمه (التصريف) لمؤلفه
الطبيب ابي القاسم الزهراوي الاندلسي ويظهر من وصف الدكتور لكتاب
(التصريف) وما هو مصور فيه من رسوم الآلات الجراحية ان مخطوطنا (الحاوي
في الجراحة) هو القسم الجراحي من كتاب (التصريف) للزهراوي وان بعض من
علق بيده الكتاب ظنه (حاوي الرازي) فكتب عليه انه (الحاوي في الجراحة) .
وان لم يكن من كتاب التصريف فيكون قسم الجراحة من كتاب (حاوي الرازي)
او لا ولا فهو (تعليقات) رشيد الدين القدسي على القسم الجراحي من كتاب
حاوي الرازي .

وعلى كل حال لا بد لمجتمعنا العلمي ان يكلف احد اطبائنا المدققين زيارة هذا المخطوط مرة ثانية فينظر اى الكتب الثلاثة هو؟ أو انه كتاب آخر غير ما ذكرته وارنايته .
المفربي

اخبار وافكار

زقاق الاربعين

طالعت في مجلة المجمع العلمي ما كتب في زقاق الاربعين في حلب ونسبته الى اربعين عيلة أتت بها الى حلب بأمر السلطان مراد الى غير ذلك من الآراء . وانا أرى ان فريقاً من يروي هذه القصة في حلب يسند هذا الامر الى السلطان سليم الاول الذي دخل حلب صلحاً بعد موقعة مرج دابق المشهورة سنة ١٥١٦ وفريق آخر يسنده الى السلطان مراد الرابع الذي دخل حلب سنة ١٦٣٩ بطريقه الى العراق لأخذ بغداد من شاه العجم . ومع ما في هذا الاختلاف من الدلالة على سخافة هذه القصة لا يوجد سند تاريخي يصح الاعتماد عليه باسناد هذا الامر الى احدهما . بل ان التاريخ الصحيح ينقضها :

فان ما كتبه عبد الله دلال سنة ١٨٣٨ في أصل تاريخ أسرته مسنداً هذا الأمر الى السلطان مراد لا يصح للاعتقاد عليه لبعده هذا الكاتب عن زمان دخول السلطان المذكور الى حلب وما هو بالحقيقة الا ناقل لهذه الحكاية التي كانت شائعة في حلب على عهده وما على الناقل لها سبيل لتحقيقها .

فقد قال الشماس بولس الحلبي الذي كان مع والده مكار يوس مطران حلب في مقدمة النصارى الذين خرجوا لاستقبال السلطان في صفحة ٤٤ كتابه في سفرة والده المذكور الذي طبعنا منه نسخة :

« وفي السنة الرابعة من رياسته التي هي سنة ٧١٤٧ للمعالم (١٦٣٩ مسيحية) وافي السلطان مراد مجيشاً من القسطنطينية الى حلب ودخلها يوم الخميس ١٢ تموز

راغباً في الذهاب الى مدينة بغداد لكي يحوز لها وخرجت جميع طوائف النصارى التقوه باصناف أثواب القماش الثمين ناشرين ذلك على حافة الطريق ومعهم الأب السيد المطران والكهنة وبقية المسيحيين مع أرباب الحرف والصنائع ممتدين من خان طومان الى نفس ساحة الميسدان وكان يوماً مشهوداً بعدئذ من الاعمار ويُذكر في الأجيال الآتية مدى الازدهار وكانت السلطنة الافرنجية امرأته قد تقدمته بايام ثلاث معها يلوذ بها في القوجيات اي العربانات وأقام في حلب ستة عشر يوماً وما كانت الا كأنها رؤيا في المنام لان بقدمه قدم الخير الوفي وأخصب فيها كل شيء وصار طالع سعودها بوجوده ولم يعوزها شيء مع كثرة من صحبه من المساكر المشابهة بكثرتها القطر القاطر»

ثم في كلام الشماس المذكور فيما تقدم من كتابه المشار اليه عن المطارنة الذين جلسوا في حلب قبل والده ما يكفي للدلالة على وجود كثرة المسيحيين فيها من قبل وعلى عدم صحة هذه الحكاية باسناد هذا الأمر الى السلطان سليم .

ثم ان العقل السليم لا يسلّم ان السلطان المذكور الداخل صلحاً الى حلب — بأول الفتح العثماني للشام — يكلف أهلها المسلمين باثبات أو بامداد من النصارى الغرباء لينازعهم فيها أسباب الرزق .

ومن المقرر تاريخياً ان هذا السلطان كان أشد سلاطين آل عثمان تعصباً للاسلام ليستبد بأمره فيه منفرداً بدون منازع بل قد تجاوز بيذا ما جبل عليه الطبع الانساني من الحب وحفظ حياة أهله وذويه الأقربين . ومعلوم ان هذا السلطان اغتال اعمامه واخوته وأولادهم جميعاً خشية ان يكون له منهم منازع او مزاحم على الملك . وكذلك — على ما يقال — دس السم لايه السلطان يبايزد لانه كان يريد ان يعهد بالملك بعده لولده البكر أحمد شقيق سليم . وقد أوقع باربعين الفاً من أهل مملكته اغتيالاً ولم يكن لهم ذنب سوى كونهم من الشيعة . وما أشهر الحرب على الشاه اسماعيل الكبير الا لكون هذا أعلن نفسه انه حامي الشيعة ذون السنة في الاسلام .

وكان في عزم هذا السلطان ان يبهد من بلاد الروم كل المسيحيين لكن منعه بحكمته وزيره الذي أوعز الى بطريك الروم القسطنطيني — بالانفاق مع شيخ

الاسلام - ابن حنبل بعهد النبي العربي ومعاودة الايام عمر وبراءة السلطان محمد الفايح التي استشهد على صحتها بعض شيوخ الانكشارية الذين كانوا احياء من ايام الفتح . والغاية كان السلطان سليم ابعده الناس طبعاً عن مثل هذا الامر . واذا صح بعدما تقدم بيانه انه لا يجوز ان نسلم بصحة هذه القصة وجب ان نبين سبب هذه التسمية فنقول :

بعد ان استولى السلطان سليم على مصر والشام والعراق وكل بلاد العرب والروم أخذ بعض حكومات اوربا بمقدون . معه ومع خلفائه معاهدات تجارية وكانت حلب حينئذ الطريق الوحيد من البحر الى العراق وارمينية وبلاد العجم والهند وصائر الجهات الشرقية فيجدد حينئذ عمرانهما بعد خرابها بجيوش نيمورلك سنة ١٤٠٠ وصارت ذات تجارة واسعة لا تضاهيها مدينة في الشرق اذ اقبل عليها تجار الافرنج على اختلاف بلدانهم وممالكهم واتخذوا لهم فيها عمالاً من النصارى الشرقيين يعتمدون عليهم في تصرف بضاعتهم في حلب وصائر الجهات الشرقية وكثروا فيها جداً وكلمهم يميلون الى التجارة والصناعة من الشام والعراق وارمينية وغيرها وتألقت منهم طوائف كبيرة ذات شأن بعدد رجالها وغناها من الروم والارمن والسريان والموارنة والسكندان ولكل طائفة مطران وكنيسة وكهنة متمسكين حتى صار بعض بطاركة الروم والارمن والسريان يؤثرون الإقامة فيها في القرن السابع عشر على دمشق وسواها وكان عدد الروم فيها يوازي عدد الذين هم في صائر البطركية الانطاكية في جميع مدن الشام والعراق .

ومعلوم ان المهاجرين اذا كثروا في مدينة اتخذوا لهم فيها بيوتاً في المحلة الخالية من السكان او الخراب حيث لا يجدون مزارحة وبناء على هذا اتخذ المهاجرون الى حلب محلة زقاق الاربعين التي كانت خراباً وعمروها وسكنوا فيها ومن هنا تولدت قصة الاربعين عيلة .

وهذا الاسم قديم قبل السلطان سليم وهو منسوب لكنيسة قديمة كانت عامرة هناك على اسم الاربعين شهيداً الذين قتلوا جميعهم صبراً في مدينة سبسطية سنة ٣٢٠ وكذلك كان لهم اوعلى اسمهم كنائس في بيروت وحمص وجوار دمشق قد استولى

عليها الخراب وزالت رسومها ولم يبق لها الا اسمها ملازمًا لهذه المحلات مراعاة لحق الجوار ودليلًا على سابق عمرانها ولم يتم مقامها كنيسة جديدة الا في مدينة حمص فانها تجددت في محل الكنيسة القديمة الكنيسة الكاثدرائية الحالية للروم وهي مشهورة بسعتها وجمالها . ومن يعلم عظم الاكرام الذي حازه هؤلاء القديسون في الشرق عند جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وطقوسهم ورغبة الشرقيين في إقامة الكنائس الكثيرة على اسماء القديسين لا يتردد في هذا الحكم . وفوق كل ذي علم عليم .
الخورى قسطنطين الباشا

==«(X*X)»==

ارجوزة الضاد والظاء

كان السيد عبد الله مخلص نشر في مجلة المجمع (جزء ٤ ص ١٦١) أرجوزة في الضاد والظاء وقال انه لم يعلم اسم ناظمها ومن نظمت برسمه الذي يظهر انه كان من وزراء زمانه . ثم نشر في المجلة في هذا الجزء (ص ٤٠٥) ان صدقه العلامة احمد باشا تيمور كتب اليه ان اسم الناظم الشيخ محمد الخورجي .

وقد ظفرت في ينجي في الخزائن عن البقية الباقية من نقائس المخطوطات في حلب بمجموع في خزانة الكتب في التكية الاخلاصية هي التي مزوتف الشيخ اسحق النجشي فيه عدة رسائل . من جعلتها أرجوزة تشمل على الظاء والضاد قال في اولها انها نظمت في عون الدين بن هبيرة الوزير في بغداد واول الأرجوزة .

الحمد لله العظيم الواحد	ذي المن والافعال والمحامد
أرسل فينا أفضل اخلائق	محمدًا أكرم به من صادق
صلى عليه ربنا ومجدنا	في كل وقت دائمًا وجدنا
فكل ما ينظم للافاده	فذاك منسوب الى العباده
لا سباب في مدح عون الدين	منجبل كل عارض كتون
من حكم الآمال في الأموال	تحكم الآجال في الرجال

هذا ما نقلته وقتئذ من الأرجوزة وأظن ان بعد هذا البيت هو قوله وقد نظمت
عدة من الحكم الخ فقد علم من نظمت برسمه وما فيها من الزيادات . عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

—«××»—

استدراكات على محاضرة

في محاضرتكم^(١) التي نشرتموها في الجزء الاول من هذه السنة وكنتم أقيمتوها في
المدرسة الناروقية بحلب وذكركم فيها مدرسة ضيفة خاتون - قلتم ان ضيفة ولدتها أمها
في غير دار أبيها حيث كانت أمها ضيفة فساها أبوها ضيفة . هذا ليس بصواب
والصواب ما ذكرناه في تاريخنا (اعلام النبلاء) نقلاً عن أبي الفدا من انها لما ولدت
كان عند أبيها الملك العادل ضيف فساها ضيفة . وأبو الفدا أبو بي وهو أدرى بأهل بيته .
وقلمت في الصفحة التاسعة ومن مدارس حلب النورية والمصريونية الخ ثم ذكرتم
الشهبية ثم الصهبية وقلمت ان هذه كانت وراء باب انطاكية مباشرة قامت على انقاض
أقدم جامع في حلب بناء أبو عبيدة . والحال ليس في الشهباء مدرسة يقال لها
الصهبية والمدرسة الواقعة في هذا المكان ولم تزل باقية الى الآن من عهد نور الدين
الشهيد هي الشهبية نسبة الى الشيخ شعيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٦ وقد كان اول
مدرس بها لما جعلها نور الدين الشهيد مدرسة وقد كانت قبل ذلك مسجداً يسمى
مسجد الغضائري وهو اول مسجد بني في حلب بعد الفتح كما ذكرتم .

وقلمت بعد أسطر ان فيها دار القرآن الحبشية بالباء الموحدة والصراب الحبشية
بكسر الحاء وبالياء المثناة نسبة الى قرية تبعد ساعة ونصفاً عن المعرة يقال لها حبش
وهي عامرة الى الآن وقد جاء ذكرها في تاريخي في الجزء الخامس في ترجمة أبي بكر
الحبشي وقد ذكرنا انه ولد بقرية حبش من عمل حماة باقرب من المعرة . ولم أجد في
مجموع البلدان ذكراً لهذه القرية ولعلها لم تكن في زمنه .

وقلمت بعد العبارة المتقدمة : ذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يتصل

(١) الخطاب للاستاذ رئيس المجمع .

من الجانب من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة الخ .
فالتعبير بكان يفيد ان لا أثر للمدرسة في زمنه وعبارة ابن جبير هكذا : ويتصل به (اي
بالجامع) بالجانب الغربي . مدرسة للحنفية الخ وهذه المدرسة لا تزال عامرة الى الآن
وهي المسماة بالحلبية وقد ذكرتموها فيما ذكرتموه من المدارس في حلب في هذه الصفحة
وقد تكلمت عليها في غير موضع من تاريخي وأثبت صورة محرابها العظيم في الجزء
الرابع منه (ص ٥٠١) .

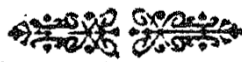
ويجدر ان نذكر هنا ما نشرته مجلة الزهراء المصرية في الجزء الثامن من سنتها
الثانية حيث قالت : كتب الاستاذ احمد زكي باشا مقالة في الشورى عن محراب
المسجد الأثري البديع الذي شيده في قلعة حلب نور الدين الشهيد في سنة ٥٦٣ هـ
ثم أمته وأكمله ابنه ابو الفتح اسماعيل عام ٥٧٥ هـ فقد رأى الباشا (اي في سياحته الى
حلب في صيف العام الماضي وقد كنت معه حينما زار القلعة) ان محراب المسجد
منتزع من مكانه وتحقق انه كان موجوداً في سنة ١٩٢٢ م وقد صور بالتصوير
الشمسي في تلك السنة وتدل صورته على انه من الخشب النيس و'ن النقوش التي
عليه انتهت عندها براعة المنفذين العربي فوصل في صناعته الى حد الالعجز .

قال الاستاذ زكي باشا : اني رأيت كثيراً من المحارِب في بلاد مختلفة فلم أر
مثل هذا المحراب الخشي المفقود في حلب سوى محراب خشبي آخر في نفس حلب
وهو محراب المدرسة الحلاوية . ثم قال : وأجمل محراب على وجه الارض هو الباقي
في أطلال مسجد قرطبة بأرض الفردوس الاسلامي المفقود وهو من الفسيفساء وقد
وصفته في (السفر الى المؤتمر) وبعده محراب المسجد الأقصى وهو من الرخام البديع
الصنعة وبعدهما محراب الحلاوية بحلب وهو من الخشب انتهى . عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

محمد راغب الطباخ

اثر تاريخي

لا يخفى ان المشهور في قبر ابي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الصحابي الجليل والفتاح العظيم (هلك في طاعون عمواس . وعمواس ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة وقيل اربعة مما يلي بيت المقدس) أنه في غور الأردن وان السيف الأثري المحفوظ في دار الآثار العربية بدمشق والمنسوب الى ابي عبيدة كان عثر عليه في ذلك القبر في القرن الماضي وقد زار القبر أخيراً بعض فضلاء الناصرة الامتاز القس أسعد منصور ووقف على كتابة منحورة في حجر على الضريح فنسخ البناء صورتها وهي كما يلي :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة على ضريح الامير ابي عبيدة (ابن) الجراح رضي الله عنه — مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو الفتح بهرس بن عبد الله قسيم امير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله . مما وقف عليه وحبسه من نصف مناصف دير معلّ تونين من حصن من عمل حصن الاكراد المحروس تحميساً مؤبداً اثناب الله وقفه بجموده وكرمه يوم يجزي الله المتصدقين أجر المحسنين . وينظر الامير الأجل الأعمى الكبير نسله (كذا) ناصر الدين الجنكلي الظاهري السعدي نائب مملكة عجلون المحروسة . في شهر ذي الحجة سنة ست مئة وخمسون وسبع » اه .
 (المجمع) وقد جاء في (دائرة المعارف العربية) (وقبر ابي عبيدة بغور بيسان عند قرية تسمى 'عميا' ^(١) وعلى قبره أشياء تشير الى جلالة قدره اه .
 (١) وقوله (عميا) بالياء غلط وصوابه ('عمتا) بالتاء .



مطبوعات حديثة

ديوان ذي الرمة

طبع في مطبعة (كبريدج) الانكليزية الكلية على نفقة مدرستها بعد ان عني بتصحيحه وشرحه بالانكليزية والعربية معاً المستشرق كارليل هنري هيس مكارثي وهو يقع في ستائة وخمسة وسبعين صفحة كبيرة (من هو ذي الرمة ؟) : جيد الطبقة واسع الشيرة وصافاً كالجاهلية للديار والابل والليل والوحش ، هو شاعر بدوي اسلامي متقدم ، نشأ في البادية على اثر الخضر مين معاصر الفرزدق وجرير والراعي مرافقاً للاحوص وكثير عزة وابن مروان وابن ابي عتيق ونعيب وغيرهم من كبار شعراء المدر فكان مثلهم حجة في اللغة ولكنه كان يخالفهم بكثرة استعمال الغريب والحوشي من الألفاظ ولم يكن ذلك يعيبه في زمانه وانما حطه عن درجة التحول عدم خبرته في أساليب المديح والهجاء ، وفساد ذوقه في انتقاء النسب واختيار ما يليق وما لا يليق من الكلام فيها .

قيل دخل يوماً على عبد الملك الخليفة الأموي فاستنشه فأنشده مطولته البائية المثبتة في ادل ديوانه (ص ١٣٥) وهي زهاء مئة وثلاثين بيتاً يقول في مطلعها :

ما بال عينك منها الماء ينكب كأنه من كلي مفرقة سرب

وكان عبد الملك أشترا الجفن لا يرقاً دمع عينه فتوهم انه يعترض به ، ففضب حتى كاد يخرج عن حلمه وقال له : مالك ولي يا ابن الفاعلة وأمر به فطرد من حضرته مدحوراً مقهوراً ، وحرّم من الجائزة التي كان يمني نفسه بذيلها ، وكان له ناقة اسمها (صيدح) كثيراً ما يذكرها في شعره ويناقشها الحديث والسمر اثناء سيره وسراه .

قيل قصد يوماً الأمير بلال بن ابي بردة الاشعري مادحاً ومستنحجاً فأنشده قصيدة تخلص الى المديح فيها بقوله :

سمعتُ الناس ينتجعون غيباً فقلتُ لصيدح أنتجعي بلالا

فقال بلال ما دام المنتجع غيبني ناقك لا انت فأعطوه حبلاً بقود به صيدح .

وقيل قال له : « اذ لم ينتجمني غير صيدح يا غلام اعطه حبلاً لصيدح » فحجل

ذوالرمة وخرج خائباً محروماً من رضى الأمير وجائزته . وفي ذلك ما يكفي للدلالة على سوء اختياره للماني وفساد ذوقه في مقابلات ذوي الأخطار ممن يرجى سببهم ويخشى بأسهم . (ما هو اسمه ؟) : اسم ذي الرمة غيلان بن عقبة الـديـوي لقب ذا الرمة لانه دخل خيـباء معشوقته عرضاً وكان لا يعرفها ، فلما استحسنها استنقاهما فأبـت ازدراء ، فقالت له أمها اسقية يامي فنهضت وألته بقاء وكان على كتفه رمة اي حبلاً بالياً فقالت له اشرب يا ذا الرمة ، فلزمه اللقب واشتهر به دون اسمه . وهو من مشاهير عشاق شعراء العرب ، ومعشوقته التي اشتهر بها مية بنت مقاتل بن كلبه جدها قيس ابن عاصم المنقري احد سادة العرب وأجوادها ، شـبب بها ردحاً من الدهر وله معها مواقف غرامية تنم عن وجد مقرون بالعفاف ، فاضت بذكرها اسفل اصحاب السير والمؤرخين ثم طردته وسبته صرة بابهـاز زوجها عاصم ، وقد كان نزل به ضيفاً على رجاء ان يلتقي بها فأحس به المزور وأنزله في فناء الخباء لا داخله وبعث اليه بزاد وهو هناك غيرة منه على امرأته ، فلما جن الليل وغفت الأعين اخذ ذوالرمة يتغنى لـسـمها فائلاً :

أراجمة يامي أيا منسا الألى بذى الاثل ام لا مالهن رجوع

فغضب زوجها وأمرها ان تجبهه وتسته متهدداً إياها بالقتل ان لم تفعل فصعدت بامرّه على رغم منها فذهب غيلان ساخطاً عليها ثم ما برح ان هجا زوجها وتمنى له الموت باياتٍ منها (ص ٦٧) .

ألا ليت شعري هل يموتن عاصمٌ ولم تشعبيني للنسايا شعوبيا

دعا الله من حنفت المنية عاصمًا بقاضية يدعى لها فيجيبها

ثم هجامية ايضاً فقال : (ص ٦٧٥) .

الا حبذا اهل الملا غير انه اذا ذكرت مي فلا حبذا عيا

على وجه مي مسح من ملاحه وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

ألم تر ان الماء يجث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا

اذا ما أتاه وارد من ضرورة نولى باضعاف الذي كان ظاميا

وقيل انها لبست له وانما وضعت عن لسانه . ثم علق بامرأة غيرها اسمها خرقاء العامرية وشبب بها في جملة قصائد تاركاً ذكر مي وحبيها ، ومن جملة ما قال في خرقاء :

تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
فكأنه جعل الوقوف على محبوبته منسكاً من مناسك الحج وفي كل ذلك ما يدل
على حمق به وهو ج في خطه . مات في طريقه الى الشام وهو قاصد هشام الأموي
بانفجار دمل سنة (١١٧) للهجرة وله من العمر اربعون سنة على أصح الأقوال ودفن
بجزوى التي كان يكثر من ذكرها في شعره . قيل ولما أدركته الوفاة قال :

يارب قد اشرفت نفسي وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
ياخرج الروح من جسدي اذا احتضرت وفارج الكرب زحني عن النار
ومن مختارات شعره في مي قوله (ص ٦٦ - ٦٧) :

اذا هبت الارواح من كل جانب به اهل ميّ هاج قلبي هبوبها
هوى تذرّف العيّن منه وانما هوى كل نفس حيث حلّ حبيبها
نناسبت بالهجران ميّاً وانني اليها الحذّان القرون طروبها^(١)
وقوله (ص ٢١٢ - ٢١٣) :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر
لها بشسر مثل الحرير ومنطق
وعينان قال الله كونا فكانتا
وتبسم لمح البرق عن متوضّع
ومن حسناته قوله (ص ٦٧٥) :

جزى الله البراقع من ثياب عن الفتيان شراً ما يقينا
يواربن الملاح فلا تراها ويخفين القباح فيزدهينا

وأجل ما جاء في وصف (النعمان) قوله (صفحة ١٣٠) :

سقاء الكرى كأس النعاس ورأسها زين الكرى من آخر الليل ساجد
(بما اذا امتاز شعر ذي الرمة ؟) : ومن غريب معانيه قوله في وصف الحرباء
(صفحة ٣٧) ولم يسبق لغيره ان يعني بوصف هذه الدوبية :

(١) القرون والقرونة النفس . (٢) شاف اي جلي .

كم دون مية من خرق ومن عام كأنه لامع عريان مسلوب^(١)
 ومن ملة غبراء مظلمة تراها بالشعاف الغبر معصوب^(٢)
 كأن حرباءها في كل هاجرة ذوشيبة من رجال الهند مصلوب^(٣)
 ويقول ايضاً في الحرباء (صفحة ٨٧):

اذا جعل الحرباء مما أصابه من الحر يلوي رأسه ويرنح
 ونشوان من طول النماس كأنه يجبلين من مشطونة يترجع^(٤)
 وهو معنى قلنا يخطر على خيال شاعر . وقال ايضاً :

أطرت الكرى عنه وقد مال رأسه كما مال رشاف الفضال المرخ^(٥)
 ثم يقول في محل آخر (صفحة ٤٧) وهو يشبه بيت الهندي المصلوب المثبت آنفاً .
 وقد جعل الحرباء ببيض لونه ويخضر من لفق الهجير غباغبه
 ويشع بالكفين شجماً كأنه اخو فجرة عالي به الجذع صالبه
 ويقول فيها ايضاً :

لغى تلنح الحرباء حتى كأنه اخو جرعات بز ثوبه شايح^(٦)
 وشله (ص ٥٩) :

كأن يدي حربائها شمساً بدا مذنب يستغفر الله تائب
 ولا أدري ما الذي أزعجه بالحرباء حتى استنزف قوي دماغه وصفاله وهذيذاً به
 وما يميزه في شعره تغاليسه في استعمال الحوشي من الكلام كقوله من قصيدة
 في محبوبته الثانية خرقاء المامرية (ص ٣٧) :

(١) الخرق الفلاة تخترقها الرياح ، والعلم الجبل الذي تهتدي به الى ما حوله
 من الارض والبلاد ، واللامع الذي يشير بثوبه من بعيد الى غيره . (٢) الملة الارض
 التي تلغ بالسراب ، والشعاف رؤوس الجبال ، والمعصوب الراشح الثابت . (٣) الهاجرة
 اشتداد الحر في منتصف النهار . (٤) النشوان السكران ، والمشطونة بئر فيها عوجاج
 ينزع منها بشطين اي جبلين . (٥) الكرى النوم ويراد برشاف الفضال شارب فضلة
 الكأس ، والمترنح المتمايل من السكر . (٦) يشبه الحرباء بمجرم عطى على العود بمد
 ان نزع ثوبه عنه فهو طيه مشبوح اي مبسوط اليدين كالمصلوب .

قفرًا كأن أراعيل النعام به قبائل الزنج والحبشان والنوب
هيهات خرقاء الا ان يقرت بها ذوالعرش والشمسانات الهراجيب
وقوله في وصف ربع مشوقته الاولى مية وفيه وصف للثيران (ص ٣٩) :

تمشي به الثيرات كل عشية كما اعتاد بيت المرزبان مرابه
كان سحيق الميك ربا ترابه اذا هضبت بالطلال هواضبه
اذا سير الهيف الصهيل واهله من الصيف عنه أعتبه نوازبه
سأل ذو الرمة الفرزدق يوماً ما بالي لأذكر مع انفحول قال قصر بك عن غابتهم
بكاؤك في الدمن ، ووصفك للابمار والعطن . وقد أجمع ثقات الجهابذة من نقدة
الشعر على انه واسع الخيال غواص على المعاني عجيب التشابه ، ولكنه سي الاختيار
اصرف مواهبه في وصف خائس الاشياء والتافه من المراضيع فلا يجيد الاشكوي
لوجد ووصف التباريح والتناغي مع الحسان فهو من هذا القبيل في البدو مثل عمر بن
ابي ربيعة في الحضر ولولا ذلك ابر شعره شعر الجاهل النابغين من أبناء جلده
في صدر الاسلام بلا مرأه ولا جدال .

(ما يؤخذ على الناسخ والطابع ؟) : ان هذه النسخة التي اختيرت للطبع قد خات
من مقدمة خلافاً لسائر الدواوين والاسفار القيمة وليس للناظم فيها ترجمة حال
تعرف منها هويته مع ان ذا الرمة مشهور معلوم الأحوال وهذا ما حدانا لان نجهد النفس
ونوطينا لمقالتنا بترجمة موجزة تعرب عن حقيقة الناظم وتحال طباعه وأرضاعه لعامة
القراء استكمالاً للفائدة ، وفي النسخة أغلاط عرضية لم ينبه اليها المصحح كقوله من
قصيدة (ص ٢٠٠) : هجو بها امرؤ القيس وهم بطن من بطون العرب .

اذا المرئي شبت له بنات عصبن برأسه ابة وعارا
اذا المرئي عقب ليوم نخر أهين ومدأ أبواً قصارا
اذا مرئية ولدت غلاماً فالأم مرضع تشغ المحارا
ولا ينبغي ما في صدر البيت الاول من الخلل . ثم حيث ذكرت الاثاني وهي
العجارة التي توضع عليها القدر على النار جاءت الاثاني او الاساني واظهر المصحح
جهله لمعانها . وقد جاء الشرح مزيجاً موجزاً من الانكليزية والعربية لا يفهم منه

شيء من معاني الناظم وأغراضه فهو لا ينفع العربي ولا الانكليزي النفع المراد من الشعر الا ان يقصد به تفسير بعض الغريب من الالفاظ مما تفني عنه معاجم اللغة .
اقول هذا وانا معجب كل الإعجاب بآثار هي كنوزنا تكشف عنها هم رجال
الغرب التراب ثم تخفنا بها أفاضلهم مجلوة مصونة كقلائد المقيان من مثل هذا
الكتاب فلم منا ما يجدر بهم من الشكر، ومن ربهم ما يستحقونه من الثواب والاجر .

سليم عموري

عضوالمجمع العلمي العربي

ثلاث رسائل للجاحظ

نشر السيد يوشع فنيكسل في المكتبة السلفية بمصر ثلاث رسائل للجاحظ
الاولى في الرد على النصارى والثانية في ذم اخلاق الكتاب والثالثة في القيان
جمعتها ادارة مجلة الزهراء الفراء هدية لقراءتها في سنتها الثانية . وقد وقعت كلها في
(٧٧) صفحة . وقد قدم لها الناشر الفاضل مقدمة قال فيها ان الرسالة الاولى وجدها
في مكتبة الازهر وفي خزانة كتب صديقنا احمد تيمور باشا اختارها عبيد الله بن
حسان واما الرسالتان الثانية والثالثة فوجدتهما في مكتبة نورالدين بك مصطفى من
هواة الكتب في القاهرة . ثم ترجم العلامة الجاحظ ترجمة مختصرة نقلاً عن بعض
الثقات الذين تعرضوا لذكره .

وفد نقل الناشر صورة كتاب للفتح بن خافان كتبه الى الجاحظ وبه استدلال
على ان كتاب الرد على النصارى له وعلى منزلة الجاحظ من العلم قال : « ان اميرالمؤمنين
يجد بك ، ويشع عند ذكرك ، ولولا عظمتك في نفسه — لعلمك ومعرفتك — لخال
بينك وبين بمدك عن مجلسه ، وانصبك رأبك وتدبيرك ، فيما انت مشغول به ومتوفر
عليه . ولقد كان التي الي من هذا عنوانه ، فزدتك في نفسه زيادة كلف بها عن
تجشيك . فاعرف لي هذه الحال ، واعقد هذه المنة على كتاب (الرد على النصارى)
وافرغ منه وعجل به الي ، وكن من جدابه (؟) على نفسه ، ونال مشاهرتك . قد
استطلتته لما مضى ، واستسلمت لك لسنة كاملة مستقبلة ، وهذا مما لم تحتكم به نفسك .

وقد قرأت رسالتك في (بصيرة غنام) ولولا اني ازيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها والسلام . وانت ترى ان ابن خاقان كان يثمن على الجاحظ باقصائه عن مجلس الخليفة لثلا يضيع عليه وقته بعشرة المظاء وينصرف الى التأليف . والجاحظ في غنية عن مسامرة الخلفاء ونقلد وزاراتهم وأعمالهم . قال ميمون بن ماردون قلت للجاحظ : الملك بالبصرة ضيمة فتبسم وقال : انا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة وهي ضيمة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وبعد فلا شك في ان هذه الرسائل الثلاث هي للجاحظ لانها نمطه الخاص في تأليفه وانشائه ، منسوجة على أسلوبه العجيب في رسائله وكتبه ، وكل ما خاض ابو عثمان عبا به من الموضوعات ، تظنك وانت ثلوه وتديره كأنه لم يقن غيره حياته ، هكذا هو فيما طبع له حتى الآن من كتاب الحيوان والبيان والتبيين والبغلاء والتاج وغيرها من رسائله الغربية في وضعها وعموم نفعها ، والتي تفتى اللبالي ولا تنفك مما استفاد منه ، وكما تدارسه المتدارسون اشدادوا منه عقلاً جديداً ، وحكمة خالدة رائعة ، منذ عالج الجاحظ مئات من المباحث الدينية والمشاكل الاجتماعية والمسائل الأدبية ، فجلاها بتبيانها واي جلاء ، واردعها من واسم علمه وبعد نظره ما يستغرب ويستطرف على وجه الدهر ، ومن اقتصر على تلاوة ما كتب رحمه الله يجي منه أديب وكاتب وعالم ، وعسى الايام ان تظفر الباحثين باكثر ما خطته انامله التي افضل على العلم والعرب والاسلام ، وكل درة بعثر عليها من درره تعد في الذخائر الثمينة من ركاز الآداب الرفيعة والكنوز المدفونة .

والى القاري جملة من رسالة القيان أوردتها الجاحظ على لسان غيره في تاريخ الحجاب في الاسلام شأنه في بعض مواضعه اذا اراد اثبات قضية او التزهيد في امر ومن ذلك انه اعترف بانه كان يضم الكتاب فلا يؤبه له فيضع الآخر وينسبه الى من تقدمه ومنهم سهل ابن هرون فيس له الناس ويعجبون به ولعل قوله هذا في القيان من هذا القبل قال :

الحجاب في الاسلام

لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفتنة ، ولا لحظة الخلسة ، دين ان يجتمعا على الحديث والمسامرة ، ويزدو جوا في المناسبة والمشافسة ، ويسمي المولع بذلك من الرجال « الزير » المشتق من الزيارة ، وكل ذلك بأعين الأولياء ، وحضور الأزواج : لا ينكرون ما ليس بمنكر اذا أمنوا المنكر ، حتى لقد حصل في صدر اخي بثينة من جميل ما حصل من استمظام المؤانسة ، وخروج العذر عن مخالطة ، وشكا ذلك الى زوجها وهزه ما حشمه ، فكنا لجميل عند اتيانه بثينة ليقتلاه ، فلما دنا لحديثه وحديثها ، سمعاه يقول ممتحنا لها : هل لك فيما يكون بين الرجال والنساء فيما يشفي غليل العشق ، ويطفي نائرة الشوق ؟ قالت : لا . قال ولم ؟ قالت ان الحب اذا نكح فسد . فأخرج صيفا قد كان اخفاه تحت ثوبه فقال : اما والله لو انمت لي لملاأته منك . فلما سمعا ذلك وثقا بغيره ، وركنا الى عنافه ، وانصرفا عن قتله ، وأباحاه النظر والمحادثة .

فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والاسلام ، حتى ضرب الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة . وتلك المحادثة كانت سبب الوصلة بين جميل وبثينة ، وعفراء وعروة ، وكثير وعزة ، وقيس وليلى ، واسماء ومرفش ، وعبد الله بن عجلان وهند . ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عارا في الجاهلية ولا حراما في الاسلام . . . ثم ان النساء الى اليوم من بنات الخلفاء وامهاتهم فمن دونهن بطنن بالبيت مكشفات الوجوه ونحو ذلك لا يكمل حج الا به . . .

. . . وهذا الحديث وما قبله يبطلان ما روت الحشوية من ان النظر الاول حلال والثاني حرام ، لانه لا يكون محادثة الا ومعهما ما لا يحصى عدده من النظر ، الا ان يكون معنى بالنظرة المحرمة ، النظر الى الشعر والجاسد وما تحفیه الجلايب ، مما يجمل للزوج والولي ويحرم على غيرهما . . . ثم لم يزل للملك والاشراف اماء يختلفن في الحواج ويدخلن في الدواوين ، ونساء يجلسن للناس ، مثل خالصة جارية الخيزران ،

وعتبة جارية ربيعة ابنة ابي العباس ، وسكر وتركية جارية ام جعفر ، ودقاق جارية العباسية ، وظلوم وقسطنطينية جارية ام حبيب ، وامرأة هارون بن معبوبة ، وحمدونة أمة نصر بن السندي بن شاهك . ثم كن يبرزن للناس احسن ما كن ، وأشبه ما يتزين به ، فما انكر ذلك منكر ، ولا عابه عائب .

... والدليل على ان النظر الى النساء كهن ليس مجرام ، ان المرأة المغنية تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك ، فلو كان حراماً وهي شابة لم يحل اذا غنت ، ولكنه امر أفرط فيه المتعدون حد الغيرة الى سوء الخلق ، وضيق العطن ، فصار عندهم كالخلق الواجب . وكذلك كانوا لا يرون بأساً ان تنتقل المرأة الى عدة أزواج لا ينقلها عن ذلك الا الموت مادام الرجال يريدونها ، وهم اليوم بكرهون هذا ويستسجونه في بعض ، ويعافون المرأة الحرة اذا فارقت زوجاً واحداً ، ويلزمون من خطبها العار ، ويلحقون به اللوم ، ويعبرونها بذلك . ويتحظون الأمة وقد تداولها من لا يحصى عدده من الموالي . فمن حسن هذا في الاماء وقبحه في الحرائر ؟ ولم لم يفاروا في الاماء وهن أمهات الاولاد وحظايا الملوك وغاروا على الحرائر ؟ الا ترى ان الغيرة اذا تجاوزت ما حرم الله فهو باطل ، وانها بالنساء لضعفهن أولع حتى يغرن على الظن والحلم في النوم ، وتغار المرأة على أبيها وتمادي امرأتها وسريرته .

... ثم هذا ايضا وزن الابنية ، وأصناف الفرش والوشى واللباس ، ووزن القنوات التي تجري فيها المياه ، وانما نعني بالوزن الاستواء في الخراط والتركيب . فلا بد لما ^(١) لا يمنع الناظر من النظر الى الزرع والفرش والبنفسج في خضرته والاستنشاق من روائحها ، ويسمى ذلك كله حلاً ما لم يمد ^(٢) له بدأ ، فاذا مد بدأ الى مثقال حبة من خردل بغير حقه فعل ما لا يحل ، واكل ما يحرم عليه ، وكذلك مكلمة القيان ومفاكهن ومغازلتهن ، ومصالحتهن للسلام ، ووضع اليد عليهن للنقليل ، والنظر حلال ما لم يشب ذلك ما يحرم . وقد استثنى الله تبارك وتعالى اللم فقال : « والذين يجنبون كباثر الائم والفواحش الا اللم ، ان ربك واسع العقرة » م . ك

(١) كذا الأصل . (٢) في الأصل « كله له حل ما يمد » .

اعلام النبلاء

« بتاريخ حلب الشهباء »

تأليف الشيخ راغب الطباخ ، الجزء الخامس ص ٥٧٥ والجزء السادس
ص ٥٥٢ طبعها في المطبعة العلمية في حلب ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ - ١٩٢٦ م

هذان الجزآن خصهما رصيفنا المؤلف الأديب بتراجم مشاهير حلب منذ سنة ٧٤٩ هـ الى سنة ١١٧٢ هـ ، وفي الجزء الخامس ١٠٨ تراجم لثمة القرن الثامن و١٩٧ ترجمة من اهل القرن التاسع و١٨٩ من القرن العاشر اي انه حوى ترجمة ٤٩٤ ، وحوى الجزء السادس ٢٣٧ ترجمة منها ٩٠ من اهل القرن العاشر و٧٥ من القرن الحادي عشر و٧٢ من الثاني عشر وفيها كالجاء الرابع تراجم كثير من مشاهير من انبثتهم الشهباء على الطريقة التي اختارها المؤلف من نقل كل ما اثر عليه واختيار المطول من التراجم . وامتاز الجزآن بان فيها تراجم كثير من المحدثات والادبيات ولكن تراجمهن مختصرة لاتب المصادر التي اخذ عنها لم تطل في الترجمة هن ، وجرى بعض من الفوا كتب التراجم في القرون الوسطى وترجم للجاذيب والمرور بن المهوسين وأغفل ترجمة النقاشين والممارين والمقنين على نحو ما فعل النجم الغزي في الكواكب السائرة فاننقد رضي الدين الحلبي في تاريخه « در الحلب في تاريخ حلب » لعنايته بتراجم النقاش والتاجر والمغني والمطبخ والمعاشق والممار وغيرهم من عدم في العوام وجوز لنفسه ترجمة الجاذيب ومن كان على شاكلتهم . فكنا نأمل من المؤلف المعاصر ان ينقل على الأقل تراجم تلك الطبقة التي ترجم لها رضي الدين وعابه بها نجم الدين فان ترجمة الشيخ ابي بكر بن ابي الوفا الجذوب التي أطال فيها جداً لا تهم المجتمع اليوم بقدر ما بهمهم التطويل في تراجم بني المديم وبني الشحنة وبني الكواكبي وبني الكوراني من الأسر العريقة في العلم والمجد في الشهباء ممن أخرجوا للامة العربية عدة بطون اشتهرت بالفضائل والآداب والاسلام نفتخر بمثل هؤلاء العظماء لا بالجاذيب وكرامات المغفلين والخرفين . وحبذا لو صحت عنيزة بعض القابضين على أزمة الاقلام في حلب على ترجمة مشاهير بلادهم بأسلوب جديد على النحو الذي جرى عليه نابغة مصر الدكتور طه حسين في كتابه « ذكرى ابي العلاء »

فإن التراجم المقبولة المؤثرة اليوم هي ما كتب على هذا الطراز من القدر والتخصيص .
واننا نشكر لمؤلف اعلام النبلاء جمعه هذه التراجم كلها ، مورداً اياها بالصيغة
التي كتبها مؤلفوها ، ولا ينبغي ان يؤلمنا ما حوت أحياناً من ركافة في الفكر وركافة
في الشعر والنثر ، فإن أكثر هذين الجزئين خاص بتراجم عصور الانحطاط في الشبهاء ،
وهذا كل ما استطاعت تلك القرون ان تخرجه . ومن حسنات هذين الجزئين ان
فيهما كلاماً على بعض الجوامع والمدارس المهمة التي ورد ذكرها في المترجمين فوصف
المؤلف حالتها اليوم وما صارت اليه خططها . ومن جميل ما آتى المؤلف ايضاً اشارته
الى مظان كتب المؤلفين في الخزائن اليوم ، وليته يفرد هذا البحث في جزازات خاصة
ينشرها في المؤلفين الخليليين في العصور الاسلامية حتى يسهل الرجوع اليها ويعمل
العاملون على احياؤها . ولا نزال نقول ما قلناه في الاجزاء السابقة بان اعلام النبلاء
يفيد كثيراً من الناس و يكون من المراجع ان يريد في المستقبل ان يكتب تاريخ الشبهاء
السياسي والأدبي مثلاً ونشكر المؤلف لهمة المالية جزاء الله عن الادب . م . ك

==((××))==

التربية الوطنية

تأليف السيد كامل المصري طبعة ثانية طبعت في المطبعة التجارية الكبرى

سنة ١٩٢٦ في ١٥٠ ص وتطلب من مكتبة الهلال بمصر

هذا السفر اللطيف في موضوع طريق حوى كلاماً على الدولة والحكومة
وحقوق الأفراد والسلطات العمومية والدستور ولا سيما في مصر ومركزها الدولي
وتاريخها السياسي والنيابي ونظمها الادارية ونقسياتها ومجالسها وضرائها ومكوسها
وماليتها والتعاليم فيها الى غير ذلك مما استنقاه المؤلف من مصادر عربية وانكليزية وفرنسية
مهمة وزاد فيها تحقيقاته فراج الرواج المقدر له في أمته . وهو يستفيد منه المصري وغيره
اموراً لا يكاد يراها الا في المظان البعيدة بأسلوب جميل وعبارة رقيقة . م . ك

مجمع اللغة العربية